السبت 20 آذار 2021
العدد 4300 السنة الخامسة عشرة
Samedi 20 mars 2021 nº 4300 15ème année

24 صفحة
2000 ليرة

الأخبار
al-akhbar
www.al-akhbar.com

كلمات

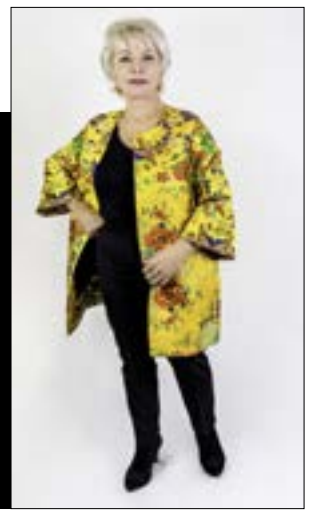

إيزابيل ألليندي
حكاية امرأة شجاعة

نكبة جديدة في حي «الشيخ جراح» المقدسي:
العدو لطرد 500 لاجئ فلسطيني
[10]

«سبوتنيك» في لبنان الأسبوع المقبل
[6]

سلامة يتعهّد لعون:
الدولار دون الـ 9 آلاف!
[2 ـ 3]

(هيثم الموسوي)

تقرير

موسكو وحزب الله
تثبيت الانتصار السياسي بعد العسكري في سوريا
5

اليمن

المعركة داخل مأرب المدينة
12

تقرير

توجيهات أميركية لأبو ظبي
ممنوع استقبال نتنياهو
14

على الغلاف

منصّة سلامة لكبح جماح الدولار:
تجميع الدولارات في المصارف من دون ضمانة عرضها للبيع

«أرنب» رياض سلامة الجديد، بما خص معالجة ارتفاع سعر صرف الدولار، لا يعدو كونه عودة إلى مشروع قديم رفضته أطراف مختلفة، منها المصارف والصرافون، وسط شكوك متصلة بنيّات «جذب» دولارات الناس المخزّنة خارج صناديق المصارف من أجل استخدامها في المضاربات الكبيرة. يشرح مصدر معني بالقطاع المصرفي الأمر على النحو الآتي:

> ما تقدّم به حاكم مصرف لبنان ليس مقترحاً جديداً، بل ليس فيه أي إبداع خاص. هو عبارة عن آلية تقنية معمول بها في كثير من دول العالم، وخصوصاً في الدول التي تواجه أزمة الأسعار المتقلّبة للعملة الوطنية مقابل الدولار الأميركي.

المنصّة توجب تسجيل العمليات وتحديد هويات الأطراف المعنية بشراء الدولارات وبيعها

منذ اندلاع الأزمة ولجوء المصارف إلى فرض قيود على عمليات السحب والتحويل، أي الـ«كابيتال كونترول» الاستنسابي، لجأ الناس إلى تجميع أموالهم بطريقتين؛ الأولى من خلال حفظ مدخراتهم على شكل عملات ورقية بالعملات الأجنبية (دولار بشكل أساسي)، أو معادن ومجوهرات (ذهب وألماس...)، أو عقارات (ظنّوا أن العقارات تحفظ قيمة الأموال، بينما بالفعل تنطوي على مفاعيل الـ«هيركات» نفسها). ثمة تقديرات متباينة عن حجم العملات الأجنبية التي صارت في السوق. هناك من يعتقد بأنه يلامس الـ12 مليار دولار أميركي (هناك تقديرات أخرى تشير إلى أن هذا الرقم مبالغ فيه جداً وأن ما هو مخزن لدى الناس لا يتجاوز ملياري دولار، وهناك قسم متداول بين الشركات والأفراد على اختلاف أعمالهم وأهدافهم)، إضافة إلى نحو 7 مليارات محفوظة لدى المصارف نفسها.

وبالإضافة إلى ذلك، هناك سيولة ناتجة من تدفقات مالية أتت إلى لبنان في عام 2020. فالتقديرات تشير إلى تدفق نحو 7 مليارات دولار إلى لبنان على شكل تحويلات فردية، أي العملات الورقية التي يحملها الأفراد الآتون من الخارج، أو حصلوا عليها من تحويلات المغتربين عبر شركات تحويل الأموال إلكترونياً، أو عبر التحويلات المصرفية. وبحسب المصدر، فإن القسم الأكبر من هذه الأموال مخزّن لدى مالكيها، ولا يضخّون منها في السوق إلا بمقدار حاجتهم للسيولة بالليرة.

في مقابل هذه السيولة المخزنة، هناك حاجات بالعملات الأجنبية للتجار والصناعيين من أجل استيراد السلع الجاهزة والأولية. ليس هناك أرقام نهائية عن قيمة هذه الحاجات، إنما الواضح أن الاستيراد يكاد يصل إلى 11 مليار دولار (عام 2020) مقابل صادرات بقيمة 3 مليارات دولار. ومن ضمن الاستيراد، هناك سلّة من السلع المدعومة بدولارات مصرف لبنان تقدر بنحو 5,7 مليارات دولار، أي أن صافي الحاجات بعد حسم قيمة الصادرات والسلع المدعومة، يقدّر بنحو 2,3 مليار دولار، أي ما يوازي 20% من قيمة الاستيراد. بمعنى آخر، إن صافي الحاجات بالعملات الأجنبية يتم تأمينها من السوق الموازية بسعر الدولار السوقي. وبحسب المصدر، فإن حجم عمليات صرف الدولار/ الليرة في هذه السوق لا يتجاوز 9 ملايين دولار يومياً، أي أنه كافٍ لتغطية تامين الدولارات المطلوبة للاستيراد.

في ظل هذا الواقع، ما يحصل هو أن جامعي العملة الصعبة (الورقية)، أي المصارف والصرافين والشركات والأفراد، يعمدون إلى بيع الدولارات للتجار والصناعيين (التداول في السوق يتم بأشكال مختلفة وعمليات ثنائية وثلاثية تشمل: شيكات مصرفية، دولارات ورقية وليرات ورقية... هذه العملات تتسرّب إلى الخارج لتمويل الواردات، لكن قسماً منها لا أثر له في السوق المحلية، ما يعني أن التجار والصناعيين يبقون جزءاً من إيرادات التصدير في حسابات خارج لبنان. في النتيجة، تتقلّص قيمة الأموال الطازجة من السوق المحلية.

بهذا المعنى، فإن حاكم مصرف لبنان رياض سلامة سيواجه معضلة مع التجّار والصناعيين الساعين إلى شراء الدولارات من السوق، ومع المصارف التي ستعمل كوسيط لتامين العملات الأجنبية لمن يريد شراءها، ومع الصرافين الذين سيضطرّون إلى التصريح عن مبيعات الدولارات الورقية. فالمنصّة تقترح أن يتم تسجيل عمليات العرض والطلب بكاملها وتحديد هويات الأطراف المعنية بشراء الدولارات وبيعها. وبالتالي، في ظل «اقتصاد الكاش» وعدم رغبة الأطراف في التعاون، تبقى المشكلة في مدى قدرة مصرف لبنان على تامين السيولة اللازمة لتامين حاجات الاستيراد التي لا يؤمنها مصرف لبنان بدولار الـ1520.

بحسب المصدر، فإن صيغة الحاكم، لكي تكون فعّالة وقانونية وشفافة، تحتاج إلى الآتي:

أولاً: أن يفرض على المصارف إدارة عملية الصرافة في حساب خاص خارج موازناتها منعاً للتلاعب بالعمليات الجارية وتسرّب الدولارات إلى محافظها. فالمصارف كانت تحصل على الدولارات «المحلية» من مصرف لبنان مقابل سيولتها بالليرة، ثم تصدر شيكات مصرفية بالدولار لشراء دولارات ورقية من السوق الموازية. بهذا المعنى، فإن التعميم المتوقع صدوره لتحديد عمل المنصّة يفرض عليها الامتناع عن شراء الدولارات الورقية من السوق بواسطة الشيكات المصرفية بالدولار المحلي، وهو أمر ترفضه المصارف لأنها تخسر أرباحاً كبيرة من خلال المساهمة بالدولارات المحفوظة لديها. كما أظهرت بعض المصارف تحفّظها على مبدأ العملية حتى لا يجري تحميل المصارف مسؤولية أي ارتفاع جديد وكبير في سعر الدولار والذي قد يحصل لأسباب سياسية أو أمنية.

ثانياً: أن يفرض على المصارف عدم تحويل أي مبالغ جديدة للتجار أو الصناعيين ما لم يستردّوا 75% على الأقل من ثمن الصادرات، أو على الأقل استخدامها في عمليات شراء المواد الأولية أو السلع المستوردة.

ثالثاً: محاصرة الصرافين من خلال تعريضهم لخسائر كبيرة في حالة احتكارهم للعملة الصعبة، وجعل منافستهم من قبل المصارف مناسبة لفرض عرض الدولار أكثر من الطلب عليه في السوق.

وبحسب المصدر، فإنه في هذه الحالة حصراً، يمكن لإنشاء منصّة جديدة أن تفرض عرضاً أكبر للدولار الأميركي وتقلّص حجم المضاربة عليه. في هذه الحال، سيكون هناك احتمال كبير لانخفاض سعر الدولار تجاه العملة المحلية، علماً بأن نجاح هذه العملية يتطلب أيضاً العمل على تقليص الكتلة النقدية المتداولة بالليرة، أو على الأقل كبحَ تحوّلها إلى طلب على الدولار، وهذا يتطلب أن يفرض على المصارف والصرافين ضخّ سيولتهم بالليرة في السوق، بما يمنع طبع المزيد من الليرات.

برأي المصدر، إن أهمية المنصّة الجديدة تظهر في حالة وحيدة، وهي عدم تحويل المصارف الى صرافين، بل الى وسيط يساعد الناس على أعمال المقايضة خارج أعمال الابتزاز الجارية حالياً في السوق الموازية، ويقلّص حجم تأثيرات العوامل السياسية.

بحسب المصدر، فإن هذه العملية هي بيد الحاكم ولا حاجة إلى أي نوع من التشريعات أو القرارات أو خلافه. ففي حال قرّر الحاكم التوقف عن المساهمة في العمليات السياسية الجارية في البلاد ومن حولها، بمقدوره القيام بهذا الدور الذي يعيد الاعتبار الى مصرف لبنان كناظم لعمل القطاع المصرفي ككل. هذا الأمر رهن الخطوات الإضافية المنتظرة من مصرف لبنان بكامل هيئاته لمراجعة واقع المصارف اللبنانية لجهة التزامها بالتعميم 154، علماً بأنه خارج لبنان، ثمة من لا يزال يشكك في قدرة مصرف لبنان والمصارف على القيام بعمليات ناجحة وشفافة.

(الأخبار)

(هيثم الموسوي)

قرار «بحث وتحرٍّ» عن أنطون صحناوي

رفضت القاضية غادة عون معذرة SGBL رئيس مجلس إدارة مصرف أنطون صحناوي، لعدم حضور الجلسة التي استُدعي إليها الخميس الماضي بصفة شاهد في ملف شحن الدولار إلى الخارج، بسبب وجوده في فرنسا. ورفضت القاضية تسلّم طلبه «تنحيتها»، بسبب «الارتياب المشروع». ثمّ سطّرت بلاغ بحثٍ وتحرٍّ بحقه. ليردّ صحناوي بالتقدم بشكوى جزائية «ضدها» لشتمه وتهديده

رضوان مرتضى

أصدرت القاضية غادة عون بلاغ بحث وتحرٍّ بحق رئيس مجلس إدارة مصرف SGBL أنطون صحناوي، بعد تخلّفه عن حضور الجلسة المخصصة للاستماع إليه في ملف شراء الدولار وشحنه إلى خارج لبنان، الذي فُتح منذ نحو سنة، علماً بأنّ الملف نفسه سبق أن انتهى بمنع محاكمة عن المصرف المذكور ورئيس مجلس إدارته (صحناوي)، ومدير الخزانة فيه كريم خوري ومدير العمليات النقدية في المصرف المركزي مازن حمدان. قاضي التحقيق في بيروت شربل أبوسمرا منع المحاكمة «لعدم وجود مخالفات»، تبعاً لاقتناعه. غير أنّ القاضية عون أعادت فتح الملف لاقتناعها بأنّه يتضمن جرائم تبييض أموال، ثمّ بدأت باستدعاء الأشخاص أنفسهم بصفة شهود في الملف. وأول من أمس الخميس، في الموعد المحدد للاستماع إلى الشهود المذكورين أعلاه، إضافة إلى حاكم المصرف المركزي رياض سلامة وعدد من الصرّافين، حضر وكيل صحناوي ليتقدم بطلب معذرة، لعدم تمكّن موكله من الحضور لوجوده خارج لبنان. هنا حصل اشتباك كلامي بين المحامي الآن بوضاهر والقاضية عون، التي رفضت قبول المعذرة. يروي وكيل صحناوي بوضاهر أنّ القاضية عون رمت المعذرة بوجهه، قائلاً: «القاضية نعتت موكلي بأبشع النعوت واتهمته بجرائم وأفعال غير صحيحة ورمت تقرير المعذرة في وجهي، فما كان مني سوى أن تقدمت بطلب ردّها (طلب تنحيتها عن الملف) سبق أن حضّرته لتوقّعي حصول شيء من هذا القبيل»، موضحاً ذلك بقوله: «عرفنا من عدة شهود أنّ التعامل كان قاسياً خلال الاستجوابات، مع أنهم شهود». ويضيف بوضاهر: «كان الموظف الذي أتى ليُبلغها طلب الرد (التنحية) يقف خارجاً، لكنها رفضت أن تتبلّغ. وطلبت من مرافقيها إخراجي من مكتبها بطريقة مهينة بحقي كمحام». ويُنقل أنّ عون قالت لوكيل صحناوي: «ما هذه الوقاحة بهذه المعذرة؟ لو كان رجّال بيجي. هالمرّة أنا بفرجيه».

وقد تقدم صحناوي بشكوى جزائية أمام النيابة العامة التمييزية، ضد القاضية عون، بجرائم القدح والذم وإساءة استعمال السلطة والابتزاز وخرق سرية التحقيقات وتهديده. في المقابل، ترد مصادر القاضية عون بالقول إنّ وكيل صحناوي تعامل معها بفوقية ورمى الأوراق أمامها قائلاً «تفضّلي طلب ردّك عن الدعوى»، فردّتها عونُ إليه لتقع على الأرض.

> **وكيل صحناوي يتّهم القاضية عون بمغادرة العدلية لتلافي تبلّغها طلب تنحيتها**

وتنقل مصادر عون أنها لم تُبلَّغ من الرئيس الاستئنافي الأول، القاضي رجا خوري، طلب ردها بدعوى الارتياب، متحدثة عن وجود اجتهاد راسخ بأنّه «لا يجوز رد النيابة العامة». ورغم أنّ وكيل صحناوي يتحدث عن شهود يؤكدون شتم عون لموكله، إلا أنّ مصادر القاضية عون تنفي ذلك وتطلب إثبات تلك «المزاعم». وتنقل مصادر عون أنّ هذا الملف جُمّد مع أنّ التحقيقات تبيّن أنّ حاكم مصرف لبنان رياض سلامة كان يُعطي مصرف «سوسيتيه جنرال» ليرات لبنانية بالشوالات من دون إيصالات ليشتري كريم خوري ومازن حمدان دولارات من السوق من دون إيصالات أيضاً.

من جهة صحناوي، يتحدث وكيله المحامي بوضاهر عن جملة مخالفات ارتكبتها عون بحقه. وإذ يتحدث عن وجود سبق ادعاء وتعامل عدائي ومخالفة قانونية عبر ادعائها على شاهد لم يحضر منذ المرة الأولى بدل تكرار استدعائه. ويقول إنّه لم يجر إبلاغ صحناوي وفقاً للأصول، أي لم يبلَّغ شخصياً، كما لم يبلَّغ ضمن المهل القانونية لإبلاغ شاهد موجود خارج البلاد، شارحاً: «نهار الأربعاء بتاريخ 2021/3/17 ورد اتصال من مديرية أمن الدولة الى مصرف SGBL مفاده وجود تبليغ بموعد جلسة في اليوم التالي، محددة في الساعة الثانية، للاستماع الى إفادة رئيس مجلس الإدارة بصفة شاهد أمام القاضية عون. وبسبب وجوده خارج البلاد، ومن باب حسن النية، أوفد وكيله القانوني لتقديم معذرة عن عدم تمكنه من الحضور. وقد حصل ذلك في تمام الساعة الثالثة بعد ظهر الأربعاء أي في نفس يوم ورود الاتصال، وقبل أقل من أربع وعشرين ساعة من تاريخ انعقاد الجلسة». كذلك يتحدث بوضاهر عن مخالفة قانونية أخرى ارتكبتها عون برفضها تبليغ طلب ردّها (تنحيتها) وإصرارها على استكمال الملف وإصدار بلاغ بحث وتحر بحق موكله، باعتبار طلب الرد يكفّ يد القاضي عن متابعة الملف فور التبلغ، علماً بأنّ الطلب كان مذيّلاً بقرار قضائي عن محكمة استئناف بعيدا يطلب منها التبلغ واتخاذ الموقف القانوني اللازم. وقد تواصل المحامي مع عدّة مراجع قضائية في محاولة لـ«إقناع القاضية عون بالتبلغ، إلا أن محاولته باءت بالفشل، وقد غادرت القاضية عون مبنى العدلية تبعاً لذلك فوراً، لقطع الطريق أمام أي محاولة لإبلاغها»، بحسب قول الوكيل القانوني لصحناوي.

رياض سلامة:
سأعيد الدولار إلى ما دون الـ 9 آلاف ليرة!

> ضبطُ «اقتصاد الكاش» تنفيذاً لمطالب الفرنسيين. تقليصُ الكتلة النقدية بالليرة. خفض سعر صرف الدولار إلى ما بين 8500 و9000 ليرة وإجبار المصارف على إيداع مليار دولار فيها، هي «أهداف» حاكم مصرف لبنان. رياض سلامة من إنشاء «منصّة الصرافة للمصارف»، التي رحّبت بها رئاسة الجمهورية، على اعتبار أنّها الحلّ لضبط انهيار العملة الوطنية

ليا القزي

«كنّا عم نحلق شعرنا صرنا عم نقبّع ضراس». هذه هي حال المصارف التجارية في لبنان، التي كانت «مؤسّسات العزّ» طوال السنوات الثلاثين الماضية، ووُجدت مصرف لبنان يُحوّلها بين ليلةٍ وضُحاها إلى «شبابيك صرافة». بدّدت أموال المودعين، وتوقّفت عن تقديم الخدمات المصرفية، فأعطاها «المركزي» الإعلان عن المنصّة تمّ من قصر بعبدا، بعد اجتماع بين سلامة ومستشار رئيس الجمهورية للشؤون المالية شربل قرداحي، «فأعلم الحاكم رئيس الجمهورية أنّ المصرف المركزي قرّر إطلاق العمل بالمنصة الإلكترونية العائدة له، بحيث يتمّ تسجيل كلّ العمليات وتُصبح هي المرجع الأساسي للسعر الحقيقي للسوق... قرار مصرف لبنان يتضمّن أيضاً السماح للمصارف، ابتداءً من الأسبوع المقبل، بالتداول بالعملات مثل الصرّافين الشرعيين وتسجيل العمليات بالسعر الحقيقي على المنصة، على أن تُتابع لجنة الرقابة على المصارف حُسن سير العمل. وسيتدخّل مصرف لبنان لامتصاص السيولة كلّما دعت الحاجة حتى يتم ضبط سعر الصرف»، بحسب نصّ البيان. كان مطروحاً على سلامة خيارٌ «أسهل»، يتمثّل بتطبيق قانون «تنظيم أعمال الصرافة»، الذي يحصر ممارسة أعمال الصيرفة بالمؤسسات المُرخّص لها من قبل «المركزي». وأن يُطبّق عليها ما يُطبّقه على المصارف لجهة مُراقبة عمليات البيع والشراء اليومية، وخاصة أنّ القانون يسمح لمصرف لبنان بأن يحصل على البيانات والمعلومات التي يطلبها من شركات الصرافة، التي تخضع لمراقبة لجنة الرقابة على المصارف. لكنّ «المركزي» اختار إنشاء المنصّة، من دون الإجابة عن العديد من الأسئلة: ما هي آلية التنفيذ؟ ما هو مصدر الدولارات التي ستُضخّ فيها؟ من سيُحدّد سعر الصرف اليوم؟ وكيف ستُضبط السوق السوداء؟ هل ستتوقّف حركة الصرافين؟ تُدخل منصّة مصرف لبنان «لاعباً شرعياً» جديداً إلى سوق الصرافة، من دون أن تؤدّي إلى إقفال «السوق السوداء» نهائياً. ولكن يعتبر مسؤولون ماليون وصرافون أنّ «المنصة ستؤدّي إلى تنظيم السوق الموازية ولن يتمكّن أي صرّاف من البيع بفارق كبير عن السعر المُتداول لأنّه سيخسر زبائنه. وإيجابية المنصّة أنّها تُلغي تحكّم صرّاف أو إثنين بحركة السوق والسعر».

لم تُحسم بعد المسائل التقنية في ما خصّ المنصة، بانتظار اجتماع المجلس المركزي لمصرف لبنان يوم الاثنين. فما يُريده «المركزي» أن تُعيد المصارف مليار دولار من السيولة (3% من مجموع الأموال المودعة لديها بالعملات الأجنبية) التي كوّنتها في حساباتها لدى مصارف المراسلة في الخارج، لتُستخدم في تمويل أعمال الصرافة، على أن يتدخّل هو ويستخدم الدولارات المتبقية لديه لشراء الليرة اللبنانية، كلّما وُجد ضرورةٌ لضبط سعر الصرف. السعر سيتحدّد حسب «العرض والطلب»، ومن المفترض أن يبدأ التداول على المنصة بحسب سعر صرف 10 آلاف ليرة. إلا أنّ المصارف لا تزال تُعاند، رافضةً أن تُساهم بأي دولار لتمويل منصّة الصرافة. مصادر مُتابعة تؤكّد أنّ «الاتفاق أُنجز على أساس أنّ المصارف ستُعيد مليار دولار». يدلّ ذلك على التخبّط في قرارات مصرف لبنان، الذي أصدر بدايةً التعميم 154، مُجبراً المصارف على تكوين سيولة خارجية بما لا يقلّ في أي وقت عن 3% من قيمة الأموال المودعة لديه بالعملات الأجنبية. اشترت المصارف الدولارات من السوق اللبنانية، مُتسبّبة بزيادة حدّة انهيار الليرة، وزيادة العرض بالليرة اللبنانية، قبل أن «تُرحّل» المبالغ التي جمعت إلى الخارج، والآن يُريد «المركزي» إجبارها على إعادة نسبة من هذه السيولة!

> **تخشى الدول الغربية «اقتصاد الكاش» لتخفيفه من تأثير العقوبات على حزب الله**

الورقية، لتسيير أمورهم ولقلّة ثقتهم بالمصارف. ولكنّ الدول الغربية تنظر بريبة إلى توسّع حجم «اقتصاد الكاش»، لاعتبارها أنّه يُخفّف من تأثير العقوبات الاقتصادية على حزب الله ويُصبح هو المُستفيد الأول منه. انطلاقاً من هنا، كان المسؤولون الفرنسيون الذين التقاهم سلامة - وقبلهم المسؤولون الأميركيون الذين يتواصل معهم - واضحين لجهة ضرورة ممارسة مصرف لبنان واجباته القانونية في ضبط السوق. عاد سلامة إلى بيروت «مُقتنعاً» بـ«النصائح» الفرنسية، كما بمثيلتها الأميركية، وبدأ يُخبر من يلتقيهم أنّ حجم الكتلة النقدية في التداول يبلغ 35 ألف مليار ليرة، «من السهل عليه التدخّل لتجفيفها، عبر بيع الدولار في السوق. يكفي امتصاص ثلث الكتلة النقدية لتخفيف الضغط على سعر الصرف». ويُراهن سلامة على أنّ استقرار الليرة «سيُخفّف من قلق السكّان، ولهفتهم لبيع الليرات وشراء الدولارات، وبالتالي لن تُعرض كميات كبيرة من الليرة للبيع في الوقت نفسه». ويرى سلامة أنّ «خطّة المنصة» ستدفع إلى انخفاض سعر صرف الدولار إلى ما بين 8500 ليرة و9000 ليرة لكلّ دولار، أما في حال إنجاز التوافق السياسي وتأليف حكومة، فهو يتوقّع أن ينخفض السعر إلى ما بين 7000 ليرة و7500 ليرة لكلّ دولار!

لم تُحسم بعد المسائل التقنية في ما خصّ المنصة، بانتظار اجتماع المجلس المركزي لمصرف لبنان يوم الاثنين. فما يُريده «المركزي» أن تُعيد المصارف مليار دولار من السيولة (3% من مجموع الأموال المودعة لديها بالعملات الأجنبية) التي كوّنتها في حساباتها لدى مصارف المراسلة في الخارج، لتُستخدم في تمويل أعمال الصرافة، على أن يتدخّل هو ويستخدم الدولارات المتبقية لديه لشراء الليرة اللبنانية، كلّما وُجد ضرورةٌ لضبط سعر الصرف. السعر سيتحدّد حسب «العرض والطلب»، ومن المفترض أن يبدأ التداول على المنصة بحسب سعر صرف 10 آلاف ليرة. إلا أنّ المصارف لا تزال تُعاند، رافضةً أن تُساهم بأي دولار لتمويل منصّة الصرافة. مصادر مُتابعة تؤكّد أنّ «الاتفاق أُنجز على أساس أنّ المصارف ستُعيد مليار دولار». يدلّ ذلك على التخبّط في قرارات مصرف لبنان، الذي أصدر بدايةً التعميم 154، مُجبراً المصارف على تكوين سيولة خارجية بما لا يقلّ في أي وقت عن 3% من قيمة الأموال المودعة لديه بالعملات الأجنبية. اشترت المصارف الدولارات من السوق اللبنانية، مُتسبّبة بزيادة حدّة انهيار الليرة، وزيادة العرض بالليرة اللبنانية، قبل أن «تُرحّل» المبالغ التي جمعت إلى الخارج، والآن يُريد «المركزي» إجبارها على إعادة نسبة من هذه السيولة!

قضية اليوم

موسكو وحزب الله

تثبيت الانتصار السياسي بعد العسكري في سوريا

زيارة وفد حزب الله لموسكو ليست «فتحاً مبيناً» ولا بهدف «الضغط على الحزب للانسحاب من سوريا»، إنّما بداية تواصل استراتيجي نابعٌ من أن حزب الله «طرف موثوق وقادر» بالنسبة إلى روسيا

فراس الشوفي

حتى من قبل أن يطأ وفدُ حزب الله أرض مطار شيريميتييفو الدولي في موسكو، استنفرت دبلوماسية العدو الإسرائيلي وأجهزته العسكرية والأمنية، في حملة تقصٍّ وتشويش على الزيارة/ الحدث، رافقتها محاولات داخل روسيا للوبي الصهيوني وامتداداته، بهدف عرقلة الزيارة والتخفيف من مفاعيلها. وسريعاً، انتقل وزير الخارجية ورئيس أركان العدو السابق غابي أشكينازي إلى روسيا، للقاء رئيس الدبلوماسية سيرغي لافروف (يوم الأربعاء الماضي)، بعد يوم على لقاء لافروف مع وفد حزب الله، الذي ترأسه رئيس كتلة الوفاء للمقاومة النائب محمّد رعد. زيارة وفد الحزب لموسكو كانت محور

> **يشعر الروس بأن الأميركيين يستعدّون مجدّداً لتسعير الساحات حيث يستطيعون بوجه موسكو وبكّين**
>
> **يكفي العداء الأميركي المتنامي لموسكو وحزب الله لكي تزول الحواجز وتتماهى المصالح**

الاهتمام في زيارة أشكينازي، الذي على عكس غيره من قادة كيان العدوّ، يبتعد عن خوض انتخابات الكنيست المقبلة، فيما يضع بنيامين نتنياهو مسألة تجيير «الناخبين» من أصل روسي في فلسطين المحتلّة لمصلحته، على رأس جدول أعمال أي زيارة لموسكو.

منذ سنوات، تعمل «إسرائيل» والولايات المتّحدة الأميركية، على عزل حزب الله وشيطنته في الساحة العالميّة، بالعقوبات والحصار والحرب الإعلامية، من أقصى الشرق وأوروبا إلى أميركا اللاتينية. وتحديداً، منذ انفجار 4 آب 2020، ارتفع منسوب الهجوم على حزب الله. لكنّ الحزب، بدل أن ينكفئ، تحوّل إلى قوّة مؤثّرة، وطرفاً في التشاور والتواصل مع القوى الدوليّة. فكان اللقاء مع الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون، ثمّ تلبية دعوة الدبلوماسية الروسية لزيارة موسكو، بغطاء من الرئيس فلاديمير بوتين.

على لسان الدبلوماسيين الروس، ومصادر مطّلعة على أجواء زيارة موسكو في بيروت، تصنّف الزيارة على قدر عالٍ من الأهميّة، وخطوة أساسيّة لاتّصال استراتيجي دائم في المستقبل. فهي في الشكل والمضمون واللقاءات، التي تنوّعت من لقاء فريق متابعة الشرق الأوسط الذي يقوده نائب لافروف ميخائيل بوغدانوف، يعاونه رئيس دائرة الشرق الأوسط في وزارة الخارجية الكسندر كينشاك، إلى اللقاءات مع المجلس الفدرالي (مجلس الشيوخ) ولجنة العلاقات الخارجية في مجلس الدوما، حفلت بنقاشات موسّعة خرج بعدها المجتمعون بانطباعات إيجابية.

فمهما يكن ما يُبعد موسكو عن منظّمة عسكرية لا تحمل صفة دولة رسميّة كحزب الله، يكفي العداء الأميركي المتنامي للطرفين، لكي يزيل الحواجز، وأن تتماهى المصالح، ولا سيّما في ظلّ السّلوك الأميركي للإدارة الجديدة.

في موسكو، توصف الروابط الروسية اليوم مع إدارة الرئيس جو بايدن، بأنها «اتصالات الضرورة، لا علاقة طبيعية». بل إن الحذر والتوجّس من السلوك المستقبلي المفترض للديمقراطيين، يبدو طاغياً أكثر بأشواطٍ من «الممارسات المجنونة» للجمهوري دونالد ترامب. وجاء كلام بايدن بحقّ بوتين شخصيّاً، ليؤكّد المخاوف الروسية، من أن الإدارة الجديدة ستفعّل أسلحتها المعتادة، الإرهاب والعقوبات وتفجير الأوضاع في آسيا والبلقان والشرق، لمواجهة روسيا والصين وإيران وسوريا وحزب الله، وكل من يقف في وجه الرغبة الأميركية بقطبية أحاديّة لم تعد تجد مكانها المريح على الخريطة العالميّة.

أكثر من ذلك، يشعر الروس بأن الأميركيين يستعدّون مجدّداً لتسعير الساحات حيث يستطيعون بوجه موسكو كما بوجه بكّين، ويلوّحون لحلفائهم قبل أعدائهم، بالضغوط والتهويل، في أوروبا والخليج، من المتشارة الألمانية إنجيلا ميركل، إلى «الضحية» الأخيرة ولي العهد السعودي محمد بن سلمان. فالرجل الأميركي المدلّل... يقف قرب المقصلة الأميركية، بانتظار أن يدفع فدية تفوق، أو توازي على الأقل، الفدية التي دفعها لترامب. كلّ هذا الضغط، يشجّع موسكو على توسيع هامش حركتها، مستفيدةً من قدرتها على الاتصال بالجميع، وبكلّ المتحاربين، لتأمين شبكة تواصل إقليمية، تخفّف من عنف التصعيد الأميركي.

حتى المفاوضات الأميركية ـ الإيرانية المنتظرة، استبقها الإيرانيون برسالة من المرشد الأعلى للثورة الإسلامية علي خامنئي حملها رئيس البرلمان الإيراني محمد باقر قاليباف إلى بوتين، وردّ عليها بوتين بالمثل، وفحواها، أن مجموعة المفاوضات ليست «5 +1» بل «4 + 2»، في تأكيد على التنسيق الروسي ـ الصيني الكامل، لدعم موقف إيران. وهذا الموقف يحمل في طيّاته تعاوناً اقتصادياً واسعاً، مع القرار الإيراني الضمني، بالتوقّف عن التعويل على سياسة الماضي ببيع الموارد للشرق وشراء السلع من الغرب، والتوجّه نحو تمتين الأسواق مع الشرق، في البيع والشراء.

من هنا، تأتي زيارة حزب الله، تتويجاً لتحوّلات دولية كبيرة، ولتجربة معمّدة بالتعاون في مكافحة الإرهاب طوال سنوات الحرب السوريّة، هذا التعاون بين سوريا وحلفائها الذي أنجز انتصاراً عسكريّاً، وأعاد موسكو بقوّة إلى الساحة الدولية وكسر أحاديّة حكمت العالم منذ انهيار الاتحاد السوفياتي.

«بالنسبة إلى موسكو، حزب الله هو طرف موثوق وقادر»، يقول مصدر وثيق الاطّلاع. أمّا ملفّات البحث، «فتناولت كل ما يخطر على البال من الملفّات المحليّة والإقليمية والدولية، لكن لسوريا الحصّة الأكبر من المناقشات».

في سوريا، تتطابق الرؤية الروسية مع موقف حزب الله، «يجب أن يتمّ تثبيت الانتصار السياسي كما حصل في الانتصار العسكري». وعلى هذا الأساس، فإن البحث في إنجاز أي تسوية سياسية في سوريا لا يتمّ قبل إعادة انتخاب الرئيس بشّار الأسد في الصيف المقبل، ودعم الدولة السورية والشعب السوري في مواجهة «قانون قيصر». وفي معلومات مصدر آخر، فإن موسكو تُعِدّ حزمة مساعدة من المفترض أن تصل تباعاً إلى سوريا من الآن وحتى الانتخابات الرئاسية. أما في ما بعد الانتخابات، «فلا يمكن أن يبقى الوضع على ما هو عليه، لا في إدلب والمناطق التي تحتلّها تركيا ولا في منطقة شرقي الفرات، ولا يمكن أن تبقى أهم الموارد السورية في أيدي قسد والأميركيين». طبعاً، كل الكلام عن رغبة روسية بانسحاب حزب الله من سوريا أكّدت الزيارة أنه وَهْم وتسويق إعلامي غربي وعربي وإسرائيلي ليس أكثر.

كذلك كرّر الروس أمام الوفد سخطهم على الانتهاكات الإسرائيلية للأجواء اللبنانية والاعتداء على سوريا، معتبرين أنها خرقٌ لسيادة دولتين ذات سيادة وأسباب لتوتير الشرق ومنع الاستقرار.

أمّا في لبنان، فنتائج الزيارة ظهرت سريعاً في بيروت، بلقاء السفير الروسي الكسندر روداكوف بالوزير جبران باسيل، بعد حملة ضغوط وشائعات وضعت العرقلة في ملفّ تأليف الحكومة عند رئيس الجمهورية ميشال عون، ومحاولات تبرئة الرئيس المكلّف سعد الحريري من هذه العراقيل. ولقطع الشكّ باليقين، أصدرت السفارة الروسية أول من أمس بياناً حسمت فيه هذا الجدال، مؤكّدة عدم تدخّل موسكو في التفاصيل الداخلية.

ويخشى الروس فعلاً المحاولات الأميركية لزيادة الضغط على لبنان، بهدف تأجيج الاحتجاجات الشعبية وتعميم الفوضى في البلاد، وصولاً إلى إسقاط ما تبقّى من هيكل الدولة، بما يؤثّر عملياً على الساحة السورية ويعيد عقارب الساعة إلى الوراء.

وبدا موقف موسكو وحزب الله مشابهاً، في ما خصّ تكليف الحريري، على اعتبار أن الأخير يشكّل مفتاحاً لمنع المحاولات الأميركية من إعادة التوتّر الشيعي ـ السّني في لبنان والإقليم، من دون أن يعني ذلك دعم الحريري على حساب عون، أو منحه هامشاً سياسيّاً في الحكومة يستطيع من خلاله تغيير التوازنات الداخلية على حساب حلفاء روسيا. وفيما يُنتظر تحرّك روسيّ فاعل تجاه الأزمة اللبنانية، يتفرّج الروس على المبادرة الفرنسية التي لم تحقّق أي تقدّمٍ حتى الآن، و«يضحكون»...

لم تغب طبعاً ساحات فلسطين والعراق واليمن عن النقاشات، فحيث لا يوجد الروس في مواجهة الأميركيين، يوجد الإيرانيون وحزب الله.

(أ ف ب)

تقرير

ضغوط محلّية ـ دوليّة لتأليف الحكومة

لقاء الرئيس ميشال عون مع الرئيس المُكلّف سعد الحريري، أول من أمس، لا يزال يُلقي بظلاله «الإيجابية» على مشهد تأليف الحكومة، رغم أنّه لم يُثمر أي نتائج إيجابية. فبعد لقاء قصر بعبدا، تستمر المساعي التي تُبذل لتذليل العقبات المُتبقية، قبل لقاء عون ـ الحريري المُرتقب يوم الاثنين. مساع عدّة أطلقتها أكثر من جهة سياسية وأمنية، في محاولةٍ منها لإنهاء هذا الملفّ الذي بات يترك تأثيرات عميقة على الوضع في البلد. ثمة دور يقوم به حزب الله، بالإضافة إلى اتصالات يُجريها المدير العام للأمن اللواء عبّاس إبراهيم، وما بين الاثنين تواصل فرنسا ضغوطها على القوى السياسية لإنتاج حكومة. ويدعم موقف باريس التوجّه داخل الولايات المتحدة بتأليف حكومة سريعاً، كما صرّحت نائبة المتحدث باسم الخارجية، جالينا بورتر، قبل أيام، عن أنّ واشنطن تنظر «بقلق عميق إزاء التطورات في لبنان. يحتاج السياسيون إلى تنحية خلافاتهم الحزبية جانباً، وتأليف حكومة تُنفّذ بسرعة إصلاحات ضرورية وطويلة الأمد، واستعادة ثقة المستثمرين، وكذلك إنقاذ اقتصاد البلاد».

(الأخبار)

مقالة

الثقل السنّي في النظام... مضمون بزعامة أو من دونها

هيام القصيفي

حتى مساء الأربعاء، ليلة رسالة قصر بعبدا ورد بيت الوسط، كان المشهد السياسي موزّعاً بين فريقين فحسب الشيعي والمسيحي. من البديهي القول إن الثنائي الشيعي كان لا يزال متصدّراً بتوزّعه بين إطلالات الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله، ومعها زيارة وفد الحزب إلى موسكو، ومبادرات الرئيس نبيه بري، ومحاولات التوفيق التي يقودها المدير العام للأمن العام اللواء عباس ابراهيم. في المقلب المسيحي، لا يمكن تجاهل الغليان السياسي ولو من دون ترجمة، من قصر بعبدا وبكركي إلى التيار الوطني الحر والكتائب والقوات اللبنانية والمردة، والشخصيات واللقاءات السياسية كمثل سيدة الجبل التي لا تنفكّ تطرح مواقف سياسية وأفكاراً للنقاش.

في المقابل كان المشهد السني حتى الأيام الأخيرة، مغيّباً كطرف سياسي، تاركاً المواجهة بين حزب الله ورئاسة الجمهورية من جهة، وخصومهما من جهة أخرى. فهناك الرئيس المكلف سعد الحريري الذي يجول خارجياً، في موازاة شخصيات سياسية، ورؤساء حكومات سابقين، ونواب ووزراء سابقين، يتحركون مع شخصيات مسيحية، في اتجاهات معظمها يصبّ في خانة مناهضة حزب الله. ومنها ما يتم عبر زيارات إلى بكركي أو تصريحات حادّة بعضها محصور بالمناسبات، كمثل اجتماعات رؤساء الحكومات السابقين، عند المسّ بصلاحيات رئيس الحكومة. لكن أبعد من ذلك لا يشبه المشهد السنّي مشهد ما بعد الطائف أو مشهد ما بعد عام 2005. ولا علاقة له عملياً بمحاولة الإمساك بالتوازن مع الثنائية الشيعية، في الحكومة المقبلة، في حال تعذّر انتخاب رئيس للجمهورية، لأن فكرة سحب الثلث المعطّل من يد رئيس الجمهورية، أو رئيس التيار الوطني الحر النائب جبران باسيل، تقوم على الإمساك بمفاصل الحكومة كتوازن سني - شيعي، في غياب رئيس الجمهورية. لكن أيّ فريق سنّي يصل إلى الحكومة، من دون ثقل داخليّ وخارجيّ، يعيش إلى هذا الحدّ من الاطمئنان، بأنه عاجلاً أم آجلاً سيمسك بمفاصل السلطة، ولو من دون حضور سياسي جدي؟ فإذا كان الرئيس رفيق الحريري بنى دوره السياسي بعد الطائف، على ميزان العلاقة السعودية والنفوذ السوري وعصب المال، كما كانت الحال مع منظمة التحرير الفلسطينية خلال الحرب، فإن تيار المستقبل استمدّ قوته أيضاً، بعد عام 2005، من الحضور العربي، قبل السين السين وبعدها، ومن ركيزة مسيحية أساسية، مثّلتها بكركي والقوى السياسية التي كانت إلى جانبها، ليصبح لاحقاً قائماً على توازن مع الثنائي بفعل الضرورات. كل هذا قبل أن يتهاوى هذا الثقل على وقع الخلافات داخل الصف الواحد، ومن ثم تداعيات التسوية الرئاسية وخلافاتها، وانحسار الغطاء السعودي.

ليس جديداً الكلام عن سوء علاقة الحريري بالرياض، ولا سيما بولي العهد محمد بن سلمان، وتاريخ القصة طويل، في تسريبات وكلام قيل في لقاءات قبل التسوية الرئاسية وبعدها، وكل ما يتعلق بشؤون الحريري المالية في الرياض وعلاقته المالية ببعض الأمراء التي وُضع خط أحمر عليها. لكن بقي للحريري غطاء ما كرئيس حكومة، يحاول التعويض عنه في الإمارات بعدما رتّبت بعض أوضاعه فيها، ومحاولاً أيضاً اللعب على خطوط تركية - مصرية، للإبقاء على مظلة فوق رأسه. لكنه لم ينجح بعد في تحقيق ما يصبو إليه. عادة يخشى المسيحيون عدم وجود رافعة خلفية تحمي وجودهم. بعضهم روّج لحلف الأقليات من هذا الباب. لكن هذا ليس حال السنة، المفترض أن يكون ظهرهم محمياً، في منطقة عربية، حتى لو خرق تواصلهم معها، ساحات النفوذ الشيعي، من سوريا إلى العراق. من هنا، بدت في بعض الأوقات خطورة ما أرساه تنظيم الدولة الإسلامية من أحلام لدى البعض في خلق حالة مماثلة تبايع أو تدين بالولاء، لهذا الجو الذي انتعش في المنطقة. اليوم تختلف حالة الخليج، حيث تتقدم محاولات التطبيع مع إسرائيل، وحيث لا تزال السعودية رغم محاولات احتوائها أميركياً، تقف على خط علاقات من روسيا إلى واشنطن وأوروبا والصين، وحيث تبعث إشارات تقارب تركية مصرية، فتعود القيادة العربية متعدّدة الرؤوس. بين هذا التشابك العربي، يمكن أيضاً الكلام عن تشابكات سنية في لبنان، لا يمكن التغاضي عنها، في الكلام عن تشكيل الحكومة.

صحيح أن خطاب رئيس الجمهورية كان حادّ اللهجة تجاه الرئيس المكلف، لكن أبعد من رد الحريري العالي السقف أيضاً، وكلام الرئيس نجيب ميقاتي والنائب نهاد المشنوق، لم تكن ردة الفعل على مستوى دعوة جلب الحريري إلى بعبدا أو الاعتذار، ولا تتناسب مع خطورة تداعيات كلام عون الذي استهدف فيه حلفاءه وخصومه. فخطوة عون، التي زادت إصرار الحريري على التمسك بتكليفه، قوبلت ببيان حاد يكاد ينبئ بأزمة مفتوحة بملامح طائفية وليس فقط دستورية وسياسية، لكنه ألحقه بزيارة، تحت وطأة الخطوط المفتوحة بين العواصم التي تواصل معها من روسيا إلى باريس التي تحرص على التهديد عبر إعلامها الخاص بعقوبات على مسؤولين لبنانيين. فهو حين رفع سقف خطابه ضد رئيس الجمهورية داعياً إياه إلى الاستقالة، كان يتوجه إلى خارج الحدود، وإلى السعودية، في تأكيد أنه قادر على مثل ما يقوم بها حلفاؤها المرضي عنهم في لبنان بالمطالبة باستقالة رئيس الجمهورية، مع البقاء رئيساً لحكومة تضم حزب الله. خطوة الحريري وزيارته، لم تُترجم سعودياً، ولا يبدو أنها ستُترجم. موقف الرياض لا يزال هو نفسه، وأي حكومة سيشكلها الحريري ستكون كسابقاتها. فإذا كان يريد حكومة إدارة أزمة ووقف الانهيار بالتعاون مع صندوق النقد الدولي، فالطريق إليه تمر بالرياض التي عادة هي صندوق المال. وغطاء مصر أو تركيا، لا يشكل بديلاً عن الرضى السعودي الذي يزال محجوباً عنه، تماماً كما دخوله إليها. ثمة فارق كبير بين التجاوب مع فرنسا، في تهديدها بالعقوبات وامتعاضها من المسؤولين اللبنانيين، لتسريع تشكيل الحكومة، وبين الإيحاء بأن الرياض قد ترفع العقوبات عن الرئيس المكلف. التحدّي اليوم يكمن في غياب الرافعة السنية الحقيقية عن الحكومة التي حاول عون فعل المستحيل لدفع الحريري إلى التخلي عنها. لكن بقدر ما يعرف الحريري تماماً خلفية الأبواب الموصدة في وجهه سعودياً، زاد من إصراره على موقفه، لعلّ أحداً ينجح في إقناع الرياض حيث فشل هو.

وفي الانتظار، ينام الجو السني، مع الحريري أو من دون وهجه المتآكل، مرتاحاً ومطمئناً. فحجم المسيحيين - مهما علا صراخهم - محدود، والفراغ الرئاسي بات من المسلّمات عند اشتداد الأزمات. وهذا يعني أنّ دورهم في ظل التركيبة القائمة دستورياً وسياسياً، بالحجم والعدد، سيبقى قائماً، خصوصاً في ظلّ الحاجة إلى تحييد الصراع السني الشيعي. بوجود حكومة مستقيلة أو فاعلة... ولو من دون زعامة لها حضورها.

تقرير

عويدات «يُلطّف» خرق القانون 191: الأجهزة الأمنيّة معفيّة من تصوير التحقيقات!

لينا فخر الدين

صحيح أنّ القانون 191 (الصادر عام 2020، والرامي إلى تعزيز حقوق الموقوفين، وأولها خفض إمكانية التعذيب) دخل حيّز التنفيذ في تشرين الأوّل الماضي، إلّا أنّ ما يجري في مراكز التحقيق يشي بعكس ذلك. ما حصل مع موقوفي احتجاجات طرابلس الأخيرة، وفي غالبيّة المخافر، يؤكّد أنّ الأجهزة الأمنيّة تتهرّب من تطبيق القانون. وأكثر من ذلك، يتفاخر بعض قضاة النيابة العامة بعدم تطبيقه ويطلبون من زملائهم أن يحذوا حذوهم. يراهن هؤلاء على إمكان إعادة طرح القانون في مجلس النواب بهدف إدخال التعديلات على بنوده. النيّة واضحة، وهي إلغاء بند سجن القضاة في حال مخالفتهم تطبيق القانون وتفريغ القانون أصلاً من مضمونه، ولو أنها مُغلّفة باستحالة تطبيق المادة المتعلّقة بتسجيل التحقيقات الأوليّة بالصوت والصورة بسبب عدم قدرة الأجهزة الأمنيّة على تجهيز مراكز التحقيق بالكاميرات ومعدات التسجيل.

بدأت القصة عند بداية العام الحالي، وتحديداً بعد انتهاء مهلة الشهرين التي أعطاها المُشرّع للأجهزة الأمنيّة لتأمين التجهيزات التقنية اللازمة. حينها قدّم رؤساء الأجهزة تقريراً إلى النائب العام لدى محكمة التمييز القاضي غسّان عويدات، يُفيد باستحالة تأمين التجهيزات في ظلّ الأوضاع الاقتصاديّة الراهنة.

عويدات أحال التقرير إلى وزارة العدل لتُحيله بدورها إلى هيئة التشريع والاستشارات، على أمل أن تُبدي الهيئة رأياً يُعفي الأجهزة الأمنيّة من مسؤوليتها، ولكن لم تتطابق حسابات الحقل مع حسابات البيدر. إذ أشارت الهيئة إلى أنّه «على الدولة الرشيدة تأمين الحاجات اللازمة بهدف تنفيذ أحكام القانون».

هكذا، وقع «الرئيس» في حيرةٍ من أمره. فعدم تسجيل التحقيقات الأوليّة يعني خرق القانون 191 الذي يُعرّض القائمّ بالتحقيق، سواء أكان قضاة النيابة العامّة أم عناصر الضابطة العدليّة، لعقوبة الحبس والغرامة.

سريعاً، أخرج عويدات حلاً هو أشبه بـ«تلطيف» خرق القانون وإعطاء الأجهزة الأمنية غطاءً يتيح لها التهرّب من مسؤوليتها. إذ أصدر يوم 11 آذار، تعميماً طلب فيه من النيابات العامة «التشدّد في أعمال رقابتهم على أعمال الضابطة العدليّة لناحية التطبيق السليم لأحكام القانون 191، باستثناء تسجيل جلسات التحقيق بالصوت والصورة».

ويوضح عويدات أنّ «سبب التعميم هو استحالة تطبيق القانون الذي أعطى الأجهزة الأمنيّة مهلة شهرين لتجهيز مراكز التحقيق التابعة لها بالكاميرات». ويؤكّد لـ«الأخبار» أنّ الهدف هو عدم تعريض التحقيقات غير المُسجّلة بالصوت والصورة للبطلان.

في المقابل، هناك من يشير إلى أنّ التعميم الصادر قدّم حجّة للأجهزة الأمنيّة بعدم تسجيل التحقيقات

> **لن يتم تسجيل التحقيقات حتى في المراكز المجهزة تقنياً!**

الأوليّة حتى في المراكز المُجهزة أصلاً (كمركز مخابرات الجيش في البيرزة وفرع المعلومات في المقر العام لقوى الأمن الداخلي). وهذا ما يؤكّده أحد الضباط بإشارته إلى أنّ «التعميم لا لبس فيه لناحية عدم تسجيل التحقيقات، إذ أنّ المدعي العام التمييزي شمل كلّ المراكز ولم يستثنِ تلك المجهزة منها».

في الضفة الأخرى، يُحاول نقيب المحامين في الشمال محمد المراد أخذ التعميم بإيجابيّة على اعتبار أنّ «وجود المحامي يحمي التحقيق». ومع ذلك، يشدّد المراد لـ«الأخبار» على «أنّنا سنخوض معركة أخرى في حال شعرنا بإمكانيّة تفريغ القانون من مضمونه»، لافتاً إلى أنّ «رئيس لجنة حقوق الإنسان النيابية النائب ميشال موسى سيدعو ممثلي الأجهزة الأمنيّة من جهة، ونقابتي الشمال وبيروت من جهة ثانية للبحث في أسباب الامتناع عن تنفيذ القانون في العديد من المراكز».

بدوره، بلغت عضو لجنة الإدارة والعدل جورج عقيص لـ«الأخبار» إلى أنّ «كل قانون يُمكن تعديله، ولكن لا يمكن لأيٍّ من النوّاب أخذ هذا التعديل على عاتقه، خصوصاً أن القانون يعني تطوراً في ذهنيّة الدولة وأجهزتها الأمنية»، لافتاً إلى أنّه «يُمكن تجهيز مراكز التحقيق بالمعدات التي تحتاجها، وذلك عبر التواصل مع جهات دولية معنية بحقوق الإنسان تابعت إصدار هذا القانون».

كورونا

مع استمرار تسجيل عشرات الوفيات وآلاف الإصابات اليومية، سقط الرهان تماماً على نتائج أي إقفال عام، فيما الأمل الوحيد اليوم معلّق على تأمين اللقاحات للسيطرة على الوباء. مئات الآلاف من اللقاحات المتنوعة ستصل إلى لبنان في نيسان وأيار المُقبلين، وستسبقها نحو 50 ألف جرعة من لقاح «سبوتنيك» الروسي في 24 الجاري ضمن مليون جرعة استوردها القطاع الخاص بما قد يمكّن من تسريع آلية التلقيح للوصول إلى المناعة المطلوبة

الإقفال فشل... الرهان الأخير على اللقاحات

«سبوتنيك» في لبنان الأسبوع المقبل

هديل فرفور

إذا سارت الأمور كما هو مقرر، فإنّ نحو 50 ألف جرعة من لقاح «سبوتنيك» الروسي ستصل إلى لبنان، الخميس المُقبل، وفق عقد وقّعته شركة «فارما ترايد» التابعة لمجموعة «ماليا» (يرأس مجلس إدارتها رجل الأعمال الروسي جاك صراف)، لحجز مليون جرعة وبيعها للشركات الراغبة في تلقيح العاملين فيها.

رئيس اللجنة الوطنية للقاح كورونا الدكتور عبد الرحمن البزري أوضح لـ«الأخبار» أن مؤسسات عدة، كجمعية المصارف و«ميدل إيست» وجمعية الصناعيين وغيرها، حجزت حصتها من اللقاح، وأن التلقيح سيكون بإشراف وزارة الصحة. وإلى المراكز التي حدّدتها الوزارة، لفت البزري الى أنه سيتم، تحت إشراف الوزارة، تأهيل مراكز أخرى قد تقترحها المؤسسات لتلقيح العاملين فيها، كـ«ميدل إيست»، مثلاً، التي تملك عيادات خاصة بها. وشدّد على أهمية تسجيل العاملين في القطاع الخاص في المنصة المخصصة للقاحات «من أجل توحيد البيانات والوصول إلى التقديرات الدقيقة لنسبة المناعة المجتمعية».

وفيما لا يزال الوباء يسجّل انتشاراً واسعاً ويحصد ضحايا، يتوقع أن يشهد شهرا نيسان وأيار المقبلان «تدفقاً» من اللقاحات. فإلى المليون جرعة التي أمنتها «فارما ترايد»، يتوقع تأمين مليون جرعة إضافية من «سبوتنيك» لمصلحة وزارة الصحة. وعلمت «الأخبار» أن السلطات الروسية أبلغت وفد حزب الله النيابي الذي زار موسكو هذا الأسبوع استعدادها لتأمين هذه الكمية سريعاً.

كما يتوقع، بدءاً من مطلع الشهر المقبل، وصول مليونين و250 ألف جرعة من لقاح «فايزر» محجوزة للبنان على دفعات كبيرة. وبالتوازي، يبدأ في الأسابيع المقبلة، تباعاً، وصول دفعات من مليون جرعة من لقاح «استرازينيكا» البريطاني و200 ألف جرعة من لقاح «سينوفارم» الصيني. ولكن، كيف سيؤثر هذا «التدفق» على الواقع الوبائي؟

> **لم تحسم اللجنة العلمية بعد خيار إعطاء جرعة واحدة للمصابين السابقين**

مع الغياب شبه الكلي لإجراءات الوقاية والتباعد الاجتماعي، واقتراب الفتح الكامل للبلاد، الاثنين المقبل، يتوقع أن يواصل عدّاد الإصابات اليومية الارتفاع وهو ما تؤكده أرقام وزارة الصحة أمس (3588 إصابة و55 وفاة).

بحسب البزري، فإنّ المُصابين حديثاً بالفيروس عليهم الانتظار نحو ثلاثة أشهر قبل تلقي اللقاح، «ما يعطي الأولوية لغير المُصابين وللمصابين القدامى»، وهذا «من شأنه أن يُحدث نوعاً معيناً من السيطرة على الواقع الوبائي». وأوضح البزري أنه مع تزايد أعداد المُصابين في الأسابيع الماضية واكتسابهم مناعة موقتة، ومع تسريع تلقيح الفئات ذات الأولوية والتي ستشمل حكماً فئات عمرية متنوعة، فإنّ ذلك سيؤثر على أعداد الإصابات اليومية».

وعن خيار اللجوء إلى جرعة واحدة للمُصابين السابقين بما يوفر في كمية اللقاحات، أجاب البزري بأن اللجنة «لم تحسم بعد خيار اللجوء إلى هذا الأمر. والقرار حالياً لا يزال يقضي بمنح الجرعتين اللازمتين». وتعليقاً على دعوات الى ضرورة إجراء فحوصات اكتشاف المناعة بما يساعد في «تحييد» المصابين «القدامى» لمصلحة غير المصابين، أكّد البزري «أننا لا نحبّذ التهافت على المختبرات. إذ يكفي في الفترة الحالية توجّه المصابين الذين كانوا على علم بإصابتهم إلى أخذ اللقاح بعد ثلاثة أشهر فقط».

(أ ف ب)

جاك صرّاف: سعر اللقاح مقبول

في ظلّ فوضى اللقاحات، وما أشيع عن عمليات بيع وشراء في السوق السوداء بموازاة مزايدات أحزاب ومسؤولين وشخصيات، جاءت مبادرة عميد الصناعيين اللبنانيين جاك صراف، كـ«مبادرة من القطاع الخاص»، بحسب ما قال لـ«الأخبار». لا يحتاج صراف إلى التعريف في روسيا، إذ يحمل ثلاث صفات تربطه ببلاد القياصرة. أولاها قنصل فخري، وثانيتها رئيس مجلس رجال الأعمال اللبناني الروسي، وثالثتها رئيس لجنة الصداقة اللبنانية الروسية. أسباب تجعله يُستفزّ من تصنيف مبادرته في خانة سياسية أو حزبية. «لا علاقة لي بالسياسة»، يقول، نافياً بشدة أي علاقة لأي سياسي كالنائب السابق أمل أبو زيد أو أي شخص آخر، بمبادرته.

ويوضح صراف أن مجموعته حجزت دوراً لها على المنصة الروسية منذ الإعلان عن إطلاق اللقاح في أيلول الفائت. «وضعوا شروطاً صعبة، عاهدنا أنفسنا على أن نتجاوزها وتوصلنا بعد مفاوضات إلى توقيع الاتفاق». يتحفّظ عن ذكر الشروط، لكنه يلفت الى أن الروس «اشترطوا دفع ثمن اللقاحات مسبقاً. ليس لديهم ثقة بلبنان». خلال المفاوضات، وبعد إبرام العقد مع الشركة الروسية، كان صراف ينسق مع وزارة الصحة لاستحداث منصة خاصة بالمجموعة (مرتبطة بمنصة الوزارة) توجه دعوات للشركات والمنظمات والجمعيات لشراء الكميات التي تريدها لتلقيح موظفيها لقاء بدل مالي يبلغ 38 دولاراً، تدفعها الشركة عن كل لقاح من جرعتين، على أن تسجل كل شركة بيانات موظفيها وتحدد المستشفى الذي ترغب بتلقي اللقاح فيه. يؤكد صراف أن سعر اللقاح «مقبول مقارنة مع التكاليف التي تتكبدها الشركات الكبيرة في دفع بدلات فحوصات pcr لموظفيها وتعطيلهم عند الحجر الاحتياطي أو الإصابة». وبسبب الـ«لا ثقة بلبنان»، ستدفع كل شركة ثمن اللقاحات التي حجزتها للمجموعة التي تحوّلها بدورها الى الشركة المصنعة لتصدر دفعة جديدة من اللقاحات. كما أن العمل جار للاتفاق مع المستشفيات الكبيرة المعتمدة كمراكز تلقيح، لاستيعاب ما يصل إلى 1500 شخص يومياً. ومن المنتظر أن يبدأ التلقيح بـ«سبوتنيك» في 29 آذار الجاري.

تقرير

إضراب متعهّدي المرفأ: هل ينفد مخزون القمح؟

ميسم رزق

لمّ يستثنِ الدولار أيّاً من القطاعات من تداعيات انفلات سعر صرفه. بين هؤلاء متعهدو الشحن والتفريغ في مرفأ بيروت الذين تُحتسب أتعابهم وفق سعر الصرف الرسمي (1515 ليرة).

(مروان طحطح)

وبعدما نفّذ تجمع متعهدي مرفأ بيروت إضراباً تحذيرياً قبل نحو شهر للمطالبة باحتساب أتعابهم بالدولار، ما أوقف عمليات الشحن والتفريغ باستثناء تلك التي تتولاها الشركة المُشغّلة لمحطة الحاويات، يبدو أن الأمور تتجه نحو التصعيد. إذ أبلغ التجمع إدارة المرفأ، في كتاب أمس، «قرار التوقف عن العمل اعتباراً من صباح الاثنين (...) بعد مراجعات عدة مع إدارتكم الكريمة ومع وزير الأشغال العامة ميشال نجار لتعديل البدل الذي نتقاضاه لتشغيل آلياتنا والذي لم يعُد يتناسب مع كلفة الصيانة وارتفاع أسعار قطع الغيار التي تُدفع نقداً بالدولار».

يعمّل متعهّدو المرفأ في نقل البضائع (خصوصاً الحديد والمركبات والحبوب) والشحن والتفريغ، في منطقة البضائع العامة. وتوقفهم عن العمل، بحسب مصادر معنيّة بالملف، يعني إمكان نفاد البضائع التي يتولون تفريغها من البواخر أو شحنها، وهو ما قد يؤدي إلى أزمة في القمح والحبوب، خصوصاً أن المخزون في المطاحن لا يكفي سوى لأيام بعدما دمّر انفجار الرابع من آب الماضي إهراءات المرفأ.

إلا أن مصادر في الشركة المشغلة لمحطة الحاويات في المرفأ، وهي «غير معنية بالإضراب» أشارت إلى أن قسماً كبيراً من الحبوب المستوردة تُشحن في «كونتينيرات» وتدخل ضمن عمل محطة الحاويات، وبالتالي «لن يؤثر ذلك على الاستيراد... لكن أي إضراب ينفّذه المتعهدون سينعكس بالتأكيد شللاً على المرفأ، لأنه عصب حركته، وهناك بضائع كثيرة يتولّون شحنها وتفريغها، وقد يؤدي إضرابهم إلى توقف البواخر التي تشحن هذه البضائع».

> **وزير الأشغال: مشكلة المتعهّدين هي مع التجّار والمستوردين**

أحد المتعهدين أوضح لـ«الأخبار» أن «ما من إمكانية للاستمرار بالوضع الحالي في ظل ارتفاع تكاليف التشغيل والصيانة التي تُدفع بالدولار، خصوصاً في ما يتعلق بالرافعات الشوكية»، ناهيك عن أن «كثيراً من معداتنا تعرّضت لأذى كبير في انفجار المرفأ».

المدير العام لإدارة واستثمار المرفأ باسم القيسي نبّه إلى أن الأمر يتعلّق بـ«الأمن الغذائي والقومي». وإذ أبدى تفهّمه لمطالب المتعهدين «المحقة»، قال في اتصال مع «الأخبار» إن «الأزمة وطنية، ولا عصا توجد حلولاً فورية، وهم عملوا لسنوات طويلة في المرفأ واستفادوا منه، ولا بدّ اليوم من التصرف بحكمة». وأوضح أن المتعهدين «يتقاضون عادة حوالى 65 في المئة من الرسوم التي يُحصلها المرفأ من التجار أو الوكيل البحري. وإدارة المرفأ لا يمكنها حلّ المشكلة، فالدولة كلّها تعاني من نقص الدولار».

إلى ذلك، قال نجار لـ«الأخبار» إنه سيلتقي المتعهدين وسائقي الشاحنات الاثنين المقبل لمبحث في مطالبهم. وأوضح أن «مشكلة المتعهدين هي مع التجار والمستوردين لأنهم يتقاضون أتعابهم منهم، لكننا سننظر في إمكان تأمين ما يلزم، إذ لا يُمكن تعطيل حركة المرفأ في ظل هذه الأوضاع».

تقرير

أزمة قطاع الصيدلة: حلول «عالقطعة»

راجانا حمية

بعد أربع وعشرين ساعة على اعتصام الصيادلة وإقفال صيدلياتهم احتجاجاً على تراجع أعمالهم، كان أمس «يوم اللقاءات» لنقابة الصيادلة، من وزارة الصحة إلى السراي الحكومي، في محاولة لإيجاد حلول تمنع انهيار ما تبقى من القطاع، وإن كانت النقابة قد حاولت تقليص مطالبها إلى حدود مطلبَين أساسيَّين: تحسين ظروف عمل الصيادلة وتطبيق خطة ترشيد الدواء التي أعدتها وزارة الصحة.

ولكن، في المطلبين، لم يستطِع الصيادلة تحصيل الحدّ الأدنى من المطلوب. إذ أن الأزمة المالية والاقتصادية تحول دون أي معالجات جذرية، ليس في قطاع الصيدلة فحسب، وإنما في جلّ القطاعات التي تأثرت بتداعيات الانهيار. ففي الشقّ الأول من المطالبات، ما من اتفاق نهائي على كيفية إنعاش هذا القطاع، إن لناحية احتياجاته أو لجهة حل أزمة النقص بالأدوية وانقطاع الكثير منها مؤخراً. النقاشات أفضت إلى اتفاق على التعاون لـ«إيجاد حلول موضعية على قاعدة معالجة الأمور بالقطعة»، على ما يقول نقيب الصيادلة غسان الأمين. ومن المفترض أن تشهد الأيام المقبلة لقاءات بين النقابة والوزارة للاتفاق على صيغ للإنقاذ تعفي من التدهور الذي أقفلت بسببه أبواب 600 صيدلية حتى الآن.

في الشقّ الآخر من المطالب، والمتعلّق بخطة ترشيد دعم الدواء التي استغرق العمل عليها 3 أشهر، يبدو أن الطريق طويلة قبل الوصول إلى إقرارها. فرئيس الحكومة حسان دياب أشار إلى أنها باتت في عهدة مجلس النواب. وبحسب دياب، فإنّ الشقّ المتعلّق بالدواء لا يسير وحيداً وإنما ضمن خطة متكاملة «يفترض أن يصدر بها قانون عن المجلس النيابي كي تصبح نافذة». وهذا دونه عقبتان أساسيتان: أولاهما معرفة ما بحوزة مصرف لبنان من أموال للدعم ليُبنى على الشيء مقتضاه، وهذا بند «ينقصه الوضوح»، على ما يجمع أهل السلطة. والثانية «رمي مجلس الوزراء الكرة في ملعب مجلس النواب وتقاذف المسؤوليات»، على ما يقول رئيس لجنة الصحة النيابية، الدكتور عاصم عراجي، مشيراً إلى أن «مجلس الوزراء أحال إلى مجلس النواب أربع خطط لترشيد الدعم بأربعة سيناريوهات تاركاً القرار لمجلس النواب». وفي هذا السياق، تشير المصادر إلى أن ما فعله الرئيس دياب «هو تهرّب من حمل المسؤولية ورميها على مجلس النواب، مع معرفته برفض الرئيس نبيه بري تلقّف هذا الأمر».

إذاً، لا خطة قريبة. وبالتالي، بالنسبة إلى قطاع الصيادلة، لا حلول قريبة، ولا حتى جذريّة. وهذا يعني أن المرحلة المقبلة مفتوحة على سيناريوهات كثيرة، ليس أقلها انفلات الوضع في الصيدليات، كما هو «فالت» في المستشفيات اليوم. فهل يتحمّل المواطنون بعد؟

تقرير

الجامعة اللبنانية بلا صيانة

(هيثم الموسوي)

فاتن الحاج

أعلنت لجنة الموظفين في مجمع الجامعة اللبنانية في الحدث إضراباً يشمل توقف أعمال الصيانة والتشغيل، على أن تنفّذ اعتصاماً ظهر الاثنين، بعدما هدّدت شركة «دنش للتجارة والمقاولات»، الملتزمة خدمات التشغيل والصيانة في المجمع بقطع رواتب العمال، احتجاجاً على تأخر مجلس الإنماء والإعمار في دفع مستحقاتها المالية لدى الدولة منذ سنة.

عضو لجنة الموظفين، بشير زعيتر، أوضح أن الشركة لوحّت بالمغادرة إذا لم تدفع مستحقاتها، «فيما يُفترض أن وزارة التربية ورئاسة الجامعة مسؤولتان عن ديمومة عملنا كوننا موظفين في الجامعة»، مشيراً إلى أن وزارة العمل «أبلغتنا أن الشركة يمكنها أن تغادر خلال هذه الظروف الاستثنائية إذا كان عقدها قد انتهى».

ومعلوم أن العقد مع الحكومة، ممثلة بمجلس الإنماء والإعمار، بدأ في 31 كانون الأول 2016 وانتهى في 31 كانون الأول 2019، بقيمة نحو 25 مليون دولار. ومُدد 3 أشهر حتى 31 آذار 2020، وقد دفعت الحكومة المستحقّات حتى هذا التاريخ. بعدها، مُدّد العقد ثلاث مرات، بعد فشل ثلاث مناقصات عمومية لعدم تقدّم أي عارض جديد. إلّا أن الدولة لم تدفع لـ«دنش» مستحقاتها، بحسب مديرة المشروع هيام علي، لافتة إلى «أننا منذ سنة ندفع من اللحم الحي، ونموّل كل الأعمال والمشتريات، لا سيما منها تلك التي تدفع بالدولار». وأشارت إلى أن العمّال والموظفين سيتوقفون كلياً عن الأعمال إلا في حالات الضرورة القصوى وفي الحالات الحرجة مثل محطات المياه والكهرباء والمختبرات.

وكان رئيس الجامعة فؤاد أيوب طلب، في كتاب وجهه في حزيران الماضي إلى وزير التربية طارق المجذوب، الموافقة على طلب مجلس الإنماء والإعمار تمديد مهلة العقد من الأول من نيسان 2020 ولغاية 31 تموز 2020 وتحويل الاعتمادات اللازمة بقيمة مليونين و520 ألف دولار من موازنة وزارة التربية كمساهمة للمجلس لزوم صيانة وتشغيل الجامعة. إلا أن المجذوب رفض دفع ما سماه «أموالاً غير مستحقّة» خلال فترة وباء كورونا، والإقفال القسري، وطلب الإفادة بما تم تنفيذه من أعمال خلال هذه المدة. واستند في ذلك إلى قرار لديوان المحاسبة يفيد بأن التكلفة لا يمكن أن تكون مماثلة للأيام العادية وأن الجامعة يمكن أن تقوم بالتلزيم بدلاً من مجلس الإنماء والإعمار الذي لا يخضع للرقابة المسبقة للديوان.

> **رفض وزير التربية تحويل الأموال للشركة بحجة أن كلفة الصيانة خلال الإقفال أقل من الأيام العادية**

أيوب ردّ على المجذوب بأن «الجامعة أرسلت جوابها مرفقاً بالمستندات والتقارير التي تفيد بأن مجمع الحدث يحتوي على تجهيزات كهربائية وإلكترونية دقيقة جداً وعالية الكلفة، ومختبرات فيها مواد قابلة للتلف في ما لو توقفت الصيانة عن تجهيزات البنية التحتية الأساسية»، إضافة إلى أن «الأعمال البحثية والإدارية بقيت مستمرة في مجمع الحدث، وسواء كان هناك طلاب في المجمع أم لم يكن، فإن الصيانة واجبة لا بل حيوية، وإلا لكانت الجامعة طلبت وقفها خلال العطلة الصيفية».

الأخبار
al-akhbar

■ رئيس التحرير ـ المدير المسؤول:
ابراهيم الأمين

■ نائب رئيس التحرير:
بيار أبي صعب

■ مدير التحرير:
وفيق قانصوه

■ مجلس التحرير:
حسن عليق
إيلي حنا
أمل الأندري

■ صادرة عن شركة
أخبار بيروت

■ المكاتب: بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد ـ الطابق الثامن
■ تلفاكس:
01759500
01759597
■ ص.ب 113/5963

■ الإعلانات
الوكيل الحصري
ads@al-akhbar.com
01/759500

■ التوزيع
شركة الأوائل
01 /666314ـ15 ـ
03 / 828381

■ الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

■ صفحات التواصل
/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/alakhbarnews-paper

السيرة الذاتيّة لأمين الجميّل: عندما يصبح الارتهان للخارج «مقاومة» [11]

أسعد أبو خليل *

لا يزال الحديثُ هنا عن سيرة أمين الجميّل الذاتيّة والتي صدرت حديثاً بعنوان «الرئاسة المقاومة: مذكّرات». وبوقاحة شديدة، يروّج الجميّل (المقاوم بسحب وصفه) لفكرة أن حركة المقاومة اللبنانيّة ضد الاحتلال الإسرائيلي في الجنوب لم تكن عفويّة أو شعبيّة أو وطنيّة (ص. 245). نزع رئيس الحزب الذي تلقّى التمويل والتسليح من العدوّ صفة الوطنيّة عن مقاومة إسرائيل وأسبغها على ميليشيات إسرائيل في لبنان. ليست المقاومة ضد إسرائيل إلا أداة للنظام السوري، حسب الجميّل. كل الذين استشهدوا في قتال إسرائيل حرمهم الجميّل من وطنهم واعتبرهم مجرّد بيادق سوريّة. ويتحدّث الجميّل عن حملة حركة «أمل» ضد «المرابطون» في نيسان 1985 والتي ترافقت مع حملة من القوى الموالية لسوريا، وفي طليعتها حركة «أمل»، ضد المخيّمات الفلسطينيّة في لبنان، كأنها لم تعانِ بما فيه الكفاية—وكأن الحركة أرادت أن تثبت أن الحرب على المخيّمات الفلسطينيّة في لبنان ليست حكراً على طرف واحد أو طائفة واحدة. ويتحدّث الجميّل، ممثّل الحزب الذي أجّج طائفيّاً في كل تاريخه والذي لم يجد ما يضعه في موقع الصدارة السياسيّة إلا التحريض الطائفي الصارخ، عن الأبعاد المذهبيّة لحرب «أمل» ضد «المرابطون» ويقول إنه في مكالمة هاتفيّة مع حافظ الأسد حذّره من ذلك إلا أن الأسد قال له: «لا داعي للتخوّف. الموضوع مضبوط تماماً» (ص. 246). وهذه الحرب التي شنّتها «أمل» بالنيابة عن النظام السوري مهّدت الطريق لظهور زعامة رفيق الحريري، كأنه—مع رعاته—أرادوا تخليص بيروت من المنافسة قبل إطلالته السياسيّة المشؤومة. ويُشدّد الجميّل على الطابع المذهبي لحرب المخيّمات—ربما لأنه ينتمي إلى حزب متخصّص في التحريض الطائفي والمذهبي—لكنه يغفل أن الأمور لم تكن على هذه الصورة في الصفاء الطائفي الخالص الذي يصوّره في تلك الحرب. إذ وقف محمد حسين فضل الله ضد حرب المخيّمات وكان هناك انقسام بين جماهير الشيعة (أذكر وصفاً سمعتُه من فضل الله عندما قال إن الأخ وقف ضدّ أخيه في تلك الحرب)، وقد ساعد حزب الله المخيّمات في تلك الحرب ولم يؤيّد «أمل».

وينقل الجميّل عن السفير اللبناني في السعوديّة آنذاك، ظافر الحسن، قلق النظام السعودي من تسليح النظام السوري لـ«حركة «أمل» والشيعة»، ويضيف «وقد وجّه إليه المسؤولون السعوديّون أسئلة كثيرة عن الوضع العسكري في بيروت والمخيّمات الفلسطينيّة» (ص. 256). من المشكوك فيه أن يكون النظام السعودي قد عبّر آنذاك عن قلقه من الاحتلال الإسرائيلي في أرجاء لبنان. ويتحدّث الجميّل بلهجة أسى مصطنعة عن انهيار المؤسسات والجيش و«القيم» (أي قيم؟ قيم حزب الكتائب، والتي صدّها انطلاق حركة مقاومة ضد إسرئيل وأعوانها في لبنان؟) (ص. 256) كأنه ليس هو الذي أسهم بشكل مباشرة في انهيار مؤسّسات كانت أفضل حالاً عندما تسلّمها. كان هناك أمل شعبي (مغلوط) في دور للجيش—بالرغم من طائفيّته وفئويّته وانحيازه—لكن الجميّل سرعان ما بدّد سمعة هذا الجيش (لحسن الحظ) بعد أن تولّى مهمات قذرة كان جيش الاحتلال الإسرائيلي قد كلّفه بها. ويتحسّر كيف أن «نجاحاته البسيطة» (أي نجاحات؟) تتبدّد بنكسات جديدة ثم يُتحف القارئ بعبارة يزعم أنه اجترحها—بعد استذذان ديكارت—الا وهي «أنا أقاوم، إذاً أنا موجود» (ص. 256). لا يذكر الجميّل أن العبارة التي ينسبها إلى نفسه هي لمناحيم بيغن، وقد يكون قادة الكتائب قد سمعوها منه شخصيّاً.

وعلى طريقة غسان تويني المُنفَّرة، يتحدّث الجميّل عن حرب مفروضة على لبنان، وكان اللبنانيّين ليسوا صانعيها، وكأن حزب الكتائب بالتحديد لم يكن الحزب الذي أشعل الحرب بعد أن كان يؤجّج لها على مدى سنوات، وكأنّ الحزب وحلفاءه لم يضمنوا استمرار الحرب بعد عقد تحالفهم المبكر مع العدوّ الإسرائيلي. لكن نفي الصراع اللبناني الداخلي—بالرغم من كثرة وتعدّد التدخلات الخارجيّة—يهدف إلى جعل فريق واحد لبنانياً. أما الآخرون، فهم طارئون وغرباء وطفيليّون. ولهذا لا يجد أتباع وورثة الكتائب (من كل الطوائف اللبنانيّة) اليوم من غضاضة في تصوير وجود أكبر حزب لبناني على أنه احتلال خارجي. أي أن الهدف هو طرد هؤلاء اللبنانيّين من لبنان من أجل إتاحة الفرصة أمام الشعب اللبناني للعيش بهناء وصفاء (طائفي).

وأما تقارب إيلي حبيقة مع النظام السوري فهو نغّص على الجميّل مساره لأن ذلك نزع منه القدرة على التفاوض باسم المسيحيّين مع النظام السوري، ويذكّر الجميّل بأن الخيار السوري لحبيقة حظي في البداية بدعم سمير جعجع الذي كان رئيس أركان القوّات فيما كان حبيقة رئيساً للهيئة التنفيذيّة. لكن ملابسات وظروف التفاتة حبيقة—الذي كان ربيب جيش الاحتلال والـ«موساد» الإسرائيلي—نحو النظام السوري ورعايته المبكرة (وتمويله) من قبل رفيق الحريري لم تتوضّح كليّاً بعد. كيف تم اللقاء بين الحريري وحبيقة فيما كان الأخير هو الخيار الموسادي الأوّل في لبنان؟ وكيف قبل النظام السوري برعاية حبيقة وعلى أي أساس؟ ولماذا لم يطلب النظام السوري من حبيقة تلاوة فعل الندامة على تحالفه مع إسرائيل (طبعاً، تلاوة الفعل لا تكفي أبداً) أو الإفصاح عن كل ما يعلمه عن إسرائيل ودورها في لبنان؟ هذا كان الرابط الأساسي بين العدوّ الإسرائيلي وأخبث أجهزته وبين الميليشيات العاملة في المنطقة الشرقيّة من بيروت. كيف تم التوافق بين الحريري وحافظ الأسد على إسباغ صفة الوطنيّة على إيلي حبيقة بمجرّد أن استدار نحو دمشق (وهل حافظ حبيقة على علاقات سريّة مع تل أبيب، مثل الكثير من قادة الميليشيات الانعزاليّة، وهل لذلك علاقة بقتله في ما بعد؟). وتقارب حبيقة أيضاً مع جنبلاط وبيري في تمهيد لإطلاق «الاتفاق الثلاثي». ويقول الجميّل إن حبيقة حافظ على اتصالاته بإسرائيل «بواسطة متعاملين مقيمين في الخارج» (ص. 257). وكان وليد جنبلاط، على عادته في العمل السياسي، يلعب على أكثر من حبل: يوالي النظام السوري وينفّذ أوامره بصرامة فيما يحافظ على علاقة سريّة مع أعداء النظام السوري ومع أعداء الجبهة السياسية التي ينتمي إليها (في سنوات الحركة الوطنيّة وبعدها). وهو كان يطلق وصف سوموزا على الجميّل فيما كان يتواصل سرّاً عبر مندوبين من الجميّل ويقدّم الدعم والتفضيل له. وكان جنبلاط يحثّ الجميّل على التعامل مع حسين الحسيني في مواجهة نبيه بيري الذي حذّر الجميّل منه ومن طموحه وقال للجميل: «أريدكم ان تعلموا أن حلف بري مع السوريّين قويّ جداً، وهو أقوى من حلفي معهم... الطموحات الدينيّة للشيعة قد تجعل لبنان إيران أخرى. إذا صارت الرئاسة لشيعيّ، يصبح لبنان من دون شك خمينيّاً، وهذه هي الكارثة... أملي أن يحافظ (الجميّل) على أعصابه، ولا يعطي السوريّين أكثر مما يريدون» (من تقرير إيلي سالم عن لقائه بجنبلاط حسب الجميّل). لكن يمكن ترجيح صحّة تقرير سالم عن جنبلاط. هذا هو جنبلاط على حقيقته: يذمّ السعوديّة

> على طريقة غسان تويني المُنفَّرة، يتحدّث الجميّل عن حرب مفروضة على لبنان، وكان اللبنانيّين ليسوا صانعيها، وحزب الكتائب تحديداً لم يكن من أشعل الحرب!

مع سوريا ويذم سوريا مع السعوديّة، ويذمّ الموارنة مع الشيعة ويذمّ الشيعة مع الموارنة، الخ. ولم يكن جنبلاط وحده لاعباً على الحبال، فهو ينقل أن فرنجيّة كان ينتقده أمام مبعوثه، جوزيف الهاشم، ثم ينتحي به جانباً بعد الزيارة ليقول له: «قل للرئيس الجميّل أن ينتبه إلى أمنه جيّداً بين 10 شباط و15 منه». وعن الاتفاق الثلاثي الذي عمل النظام السوري كثيراً لفرضه، يقول إن فرنجيّة حذّره منه وقال: «إيّاك أن تقبل به، ونحن معك». لكن فرنجيّة، حسب الجميّل، هو نفسه الذي كان قال عن الجميّل: «إذا غيّر سياساته تقتله إسرائيل، وإذا لم يغيّرها أقتله أنا». ويقول الجميّل إن طبيعة العلاقة بين الجميّل وبين حافظ الأسد كانت طائفيّة وإن فرنجيّة قال: «العلويّون يحبّون المسيحيّين» (ص. 275). ويعترف الجميّل بأن الأقوال تناقضت بين السرّ والعلن، لكنه لا يشمل نفسه في التعميم كان طينة الجميّل من غير طينة منافقي السياسة في لبنان.

وكم أن الجميّل يزهو بأصدقائه في الغرب (ولعلّ تعريف الصداقة عند الجميّل لا يختلف عن تعريف وليد جنبلاط—الصديق الحميم لجو بايدن، بناءً على لقاءَيْن أو ثلاثة) ويذكر بصورة خاصة الزعيم الألماني اليميني الرجعيّ، فرانز جوزف شتراوس (والذي تورّط في فضيحة فساد شهيرة مع شركة «لوكهيد» للسلاح). وعندما كان الجميّل يشعر بالضيق، كان يلجأ إلى صديقه شتراوس. وشتراوس هذا كان من أشرس حلفاء إسرائيل في أوروبا وهو الذي كان يتبجّح أنه لا يستطيع الإفصاح عن الخدمات (العسكريّة) التي قدّمها لإسرائيل سرّاً. لكن الجميل ارتاح لعشره. واليمين الغربي الصهيوني الإسلاموفوبيي كان دائماً خير عون للجميّل: لم يتفهّم الجميل بين كل مسؤولي أميركا إلا دونالد رامسفيلد، مثلاً.

ويقول الجميّل عن لقائه مع مارغريت ثاتشر إن إيلي سالم همس في أذنه أن ثاتشر هي «الرجل الوحيد في الحكومة». التعليقات العنصريّة الذكوريّة لا تزال تثير الضحك في لبنان. وينقل من محضر اللقاء ويقول إنه طلب عون لبنان على ضرب «المتطرّفين» الإرهابيّين. حتماً كان يتكلّم عن معارضيه وعن مقاومة إسرائيل. ويجب على الشعب اللبناني أن يعلم أن جاك شيراك (السريع التأثّر بالمال اللبناني الوفير، وبناءً على «صديق»—ليس مُموّل—شيراك، عصام فارس) خصّ الجميل—حسب الجميّل—باستقبال حار وأقام على شرفه «عشاء كبيراً في قاعة الكي دورسيه «ص. 281). أعطوه سلاماً وخذوا منه عشاءً كبيراً.

ولا يتورّع الجميّل من نقل نميمة ضد سليم الحصّ من السفير الأميركي في لبنان، جون كيلي. بقي أن ننتظر رأي سفراء الغرب في واحد من أنزه من مرّ على المناصب العليا في الدولة، وأكثرهم وطنيّة على الإطلاق. ويعتبر الجميّل أن ما يقوله كيلي عن الحصّ هو بمثابة النص الديني الذي لا يمكن التشكيك فيه (ص. 300). ويقول السفير النمام، كيلي: «لقد أثبتت الأحداث أنني على حقّ في التقارير التي كنتُ أرسلها عن مواقفه (أي الحصّ)». وينقل الجميّل هذا الكلام لأنه يعتبر أن الحكم الفصل في وطنيّة اللبنانيّين لا يمكن أن يصدر إلا عن سفير أميركي. ويضيف كيلي أن حسيني الحسيني «يتكلّم في سوريا بلغة غير تلك التي يتكلّم بها معنا». لكن بالرغم من كل شيء، فإن الجميل يبقى ممتناً للتدخل الأميركي في شؤون لبنان، إذ يقول: «كانوا يبذلون أقصى جهدهم من دون أن يكونوا مضطرين إلى ذلك. أدّت اميركا دور المسعف.»(ص. 300). يخلط الجميّل هنا بين الصليب الأحمر الدولي (على علّاته) وبين الإمبراطوريّة الأميركيّة في تدخّلها في شؤون الدول.

ثم يروي الجميّل عن لقائه مع مستشار ميتران لشؤون المشرق، فرانسوا دو غروسوفر، ويقول إنه صاح بأمين: «إنه مريض (عن ميتران)، يا أمين. إنه مريض»، ثم انتحر دو غروسوفر من دون أن نكون واثقين من مقصد الجميّل في الرواية. إذا كان يوحي إلى أن الانتحار كان بسبب الانتقام

(هيثم الموسوي)

من أعداء الجميّل حول العالم. وغروسوفر هو صديق للجميّل، وقد لا يكون هناك مسؤول غربي اجتمع بالجميّل من دون أن يصبح صديقه—تماماً على طريقة جنبلاط في مراكمة أصدقاء غربيّين (بيض، طبعاً). ثم هل يعلم شعب لبنان «أن الحملة الانتخابيّة التي كانت في عزّها في فرنسا لم تمنع أبرز المرشحين من تخصيص الوقت اللازم لي»—أي للجميّل؟ الا يثبت هذا أن أرزات لبنان ما زالت «عاجقة» الكون؟

وفي آخر يوم في الرئاسة، تجاوز أمين الجميّل «قواعد البروتوكول» وطفق يبادل العاملين والعاملات في القصر القبلات والعناق والمجاملات والشمّ والضمّ—كان ذلك قبل زمن الكورونا طبعاً. وغادر الجميّل القصر الجمهوري وقاد سيّارته بنفسه إلى منزله الخاص—تدليلاً على تواضع الرجل والتصاقه بالجماهير، على أنواعها. وما إن غادر الجميّل القصر، حتى استمرّ نمط ما تعرّض له الجميّل من قبل: طعنات من الخلف من قبل حلفاء وأعداء على حد سواء. عقدة مظلوميّة الجميّل لا تنتهي. كلهم ظالمون ومجحفون. جعجع وعون انقلبا عليه، ولم يبقَ في صفّه أحد، حتى حزبه غادره. وتعرّضت مواقع و«مؤسّسات» (مثل سوبر ماركت في انطلياس تابعة للجميّل) إلى هجوم من قبل قوّات سمير جعجع وتم استهداف «بيت المستقبل» وهو مركز أبحاث أنشأه الجميّل في سنوات الحرب معتمداً على تبرّعات المحسنّين من الأطراف الخارجيّة التي لا تشكّل خطراً على سيادة لبنان بحسب تعريف حزب الكتائب اللبنانيّة. والمهم أن مدوّنات الجميّل الشخصيّة، والتي ساعدته كثيراً في سرد هذا الكتاب الذي أثقلني كما أثقل القراء، كانت معرّضة لخطر السرقة أو التلف من قبل القوّات لكن الجميّل استعان بمخلصين له كي يهرّبوا أوراقه الشخصيّة، ما سمح لنا بمطالعة هذا الكتاب. أما عن مغادرة الجميّل للبنان، فإنه يقصّ علينا حكاية تختلف عن تلك الحكاية التي قصّها علينا عندما كان زعيماً في حركة 14 آذار. آنذاك، كانت القصّة التي تكرّرت أن الجميّل اضطرّ للمغادرة بسبب تهديد تعرّض له من النظام السوري بسبب معارضته الشجاعة للسيطرة السوريّة في لبنان. هنا، في الكتاب، نقرأ رواية أخرى ومفادها أن سمير جعجع هدّده بالأذى الشخصي ونقل هذا التهديد له كريم بقرادوني. أوضح له جعجع (الذي تعمّق في دراسة الفلسفة واللاهوت في سجنه على ما يُقال لنا) أن المناطق الشرقيّة لا تحتمل زعيمَيْن. وعندما لاذ الجميّل بحماية ميشال عون قال له الأخير: «لمَ لا تأخذ فترة من الراحة؟ أنتَ في حاجة كبيرة إليها» (ص. 363). والجميّل الذي أيّد «الطائف» في إطار جمعيّة 14 آذار للسيادة والسعوديّة وأميركا أوضح في الكتاب أنه كان معارضاً لـ«الطائف» لأنه جرّد رئيس الجمهوريّة من صلاحياته. لكن: هل تمتّع الجميّل بصلاحياته قبل «الطائف» وكان يتشارك معه في الحكم جعجع وعون ودول حلف شمال الأطلسي وجيش الاحتلال الإسرائيلي، ثم النظام السوري والمعارضة الداخليّة له في ما بعد؟ لكن الجميّل يعترف بدور النظام السعودي، عبر سعود الفيصل شخصيّاً، في فرض الاتفاق على نواب الأمة الأحرار، وقال لهم مستعيناً بمثل إنكليزي: «خذوه كما هو أم اتركوه» (ص. 384). (لكن الجميّل يستشهد بمثل إنكليزي لا وجود له، وقد اختلط الأمر عليه وتشوّشت رؤيته فحشر كلمات لا محلّ لها في مثل إنكليزي معروف فشوّهه تشويهاً).

أم عن سفرات الجميّل في بلاد الغرب فإنه يصفها بالتالي: لم يتوقّف نضالي، حرتُ أسافر من مدينة إلى أخرى محاولاً الدفاع عن القضيّة الوطنيّة» (ص. 387). ها هو الجميّل يتنقّل في النضال من باريس إلى لندن ومونت كارلو وبوسطن وكل ذلك من أجل نهوض بلده. لكن لماذا يصبح تعريف النضال غير ما هو متعارف عليه؟ هذا مثل تعريفات كلمة ثورة في لبنان على مرّ السنة الماضية، فأصبح النزول إلى الشارع والهتاف البذيء ضد أم جبران باسيل هو ثورة تقارن بثورات أكتوبر وكوبا والجزائر. وهل يعلم شعب لبنان أن الجميّل حذّر غورباتشوف من خطر سياساته عليه؟ وغورباتشوف استمع إلى الجميّل مصغياً على الأرجح لما يعرفه عن طيور الفينيق في لبنان. وفي عام 1990 ألقى الجميل «سلسلة محاضرات جامعيّة» في ليتوانيا. تغير التعليم الجامعي في ليتوانيا مذّاك.

ويعلن أمين أن انسحاب إسرائيل من معظم جنوب لبنان «أفقد مقاومة حزب الله مبرّر وجودها وسلاحها» (ص. 393). لكن هذا الرئيس يعترف في كتابه بأنه لم يعترف لأي مقاومة ضد إسرائيل بمبرّر وجودها وسلاحها منذ أن تأسّس الكيان في عام 1948. هو كان ضدّها عندما كانت إسرائيل على مشارف بيروت، وكان ضدّها عندما انسحبت نحو صيدا، وكان ضدّها حتى آخر يوم. ولو أن المقاومة فقدت مُبرّر وجودها فسلاحها، فمن الذي يمنع إسرائيل من العدوان على لبنان كما كانت في سنوات الرئيس المطلق الصلاحية في زمن الحرب؟ هل يمنعها جوزيف عون أم ميشال سليمان؟ وحضر الجميّل في عام 2002 حفلة عشاء في منزل رامسفيلد حضرها أيضاً العروبي الآخر، بول وولفويتز. وقال رامسفيلد للجميّل إنه معجب بصموده في سدة الرئاسة. أي فخر هذا للبنان؟ أعطونا رامسفيلد وخذوا الجميّل ليدهش العالم. وللجميل قريب في هيوستن يمارس المحاماة وهو مذكور في «كتاب غينيس» (الذي يشغل العقول الصغيرة في لبنان) لأنه نال أكبر بدل أتعاب عن دعوى قضائيّة—على ذمّة الجميّل (ص. 399).

لم يضف الجميّل جديداً إلى تاريخ الحرب الأهليّة إلا ما لم يكن يقصده في معرض روايته. كان الجميّل يضيف إسهاماً آخر إلى السرديّة الانعزاليّة عن الحرب، مُضيفاً المزيد من الأضاليل والأباطيل والترهات. لكن حجم السرديات الانعزاليّة يكبر وليس هناك في المقابل من دحض وتفنيد من قبل قادة الحركة الوطنيّة المشغول معظمهم بكنز المال وإنشاء القصور واقتناء المنازل الأوروبيّة.

(تمّت)

*كاتب عربي، حسابه على تويتر @asadabukhalil

عودة التوازن مكسب للبنان

طراد حمادة *

تعقّد مسار تشكيل الحكومة اللبنانية حتى بلغت الأزمة أوْجَها في تصعيد لغة الخطاب، ودعوة فخامة رئيس الجمهورية الرئيس المكلّف سعد الحريري إلى زيارة قصر بعبدا للنظر في تشكيل الحكومة، وفق الأصول الدستورية والعرفية التي تؤمّن التوازن ووحدة المعايير في عملية التشكيل. وأضاف رئيس الجمهورية في خطابه المتلفز، أنه إذا كان الحريري عاجزاً عن هذه المهمة، فليترك الأمر لمن هو قادر عليه، أيّ في معنى يعتذر عن التأليف ويفسح المجال أمام سواه.

لم يتأخر ردّ رئيس الحكومة المكلف على هذا الخطاب التصعيدي وتخييره بين أمرين: موافقة بعبدا على ما تريد أو التنحّي لشخصية أخرى بقبول الدعوة للقاء الرئيس والبحث في ما قدّمه له من تشكيلة كاملة في اللقاءات الستة عشر السابقة، وأنه إذا كان رئيس الجمهورية غير قادر لأسباب معيّنة على توقيع مرسوم تشكيل الحكومة فليُرح اللبنانيين بعد مصارحتهم ويوافق على انتخابات رئاسية مبكرة.

كانت هذه صورة الوضع الداخلي في شأن تشكيل الحكومة. والتي أظهرت أن الأزمة داخلية لبنانية وأنها صراع بين إرادتين تمثلان مواقع دستورية هي الأبرز في تركيبة الحكم اللبناني.

حيث كان الصراع حول السلطة في لبنان يتم في وجهه الرئيسي بين الرئاستين الأولى والثانية. استناداً إلى تركيبة متحقّقة بين تفاهم أو صراع كلّ من المارونية السياسية والسُّنية السياسية. والتي انتهت بعد الحرب الأهلية إلى اتفاقية الطائف، التي صارت مرجعاً دستورياً. والتي يسعى أهل السلطة إلى الدوران حولها في محاولة لتعديلها أو لتثبيتها مرجعاً غير قابل للتعديل والتغيير.

كان المسلمون الشيعة في موقع الشريك الذي دفع أثماناً عَالية في الحرب الأهلية ليجني أرباحاً ومكاسبَ محدودة في اتفاقية الطائف، والتي تركّزت حول صلاحيات إضافية لرئيس مجلس النواب. ثم حول مكسب إضافي كان لنا دور في تحقيقه يتعلق بمديرية الأمن العام داخل المؤسسة الأمنية والعسكرية.

والآن تمثل الثنائية الشيعية في قوتها المضافة بالمقاومة عنصر توازن قويّاً داخل تركيبة السلطة اللبنانية. حتى إنه لا يمكن تجاهل هذا الدور في شكل من الأشكال. ويذهب معارضون له للقول إن هذه الثنائية وحزب الله منها على وجه التحديد حاكم في لبنان وهو أمر لا يقبل الحزب بتوصيفه ولا يتحمّل مسؤوليته، ولذلك كان يزن خطواته بشأن الداخل اللبناني بميزان الكيميائي. وهو حريص أن لا يُدخل قوة المقاومة وسلاحها في لعبة السلطة الداخلية لأن هذه القوة في حساب استراتيجي هي لمصلحة لبنان وحمايته من كل عدوان.

إن تصعيد أزمة تشكيل الحكومة وتعقيدها وانسداد أفقها ولعب الأطماع في الرؤوس الحامية فيما الشعب اللبناني يئنّ تحت وطأة ارتفاع الدولار وغلاء الأسعار وتفشي الوباء، وتعرض البلاد لشتى الأخطار، وتدخل قوى خارجية تفرض العقوبات وتهدد بالحرب الأهلية وما أدراك ما الحرب الأهلية التي يعرف اللبنانيّون ويلاتها والتي شاهدوا أخطارها في بلاد شقيقة قريبة وبعيدة وعرفوا أنها تؤدي إلى الجحيم حقاً، فيما السلام الداخلي والتضامن الوطني يؤديان إلى النعيم حقاً وحقيقة.

أمام التطورات الخطيرة، برز دور الثنائي الشيعي في موقع الحريص على تحقيق التوازن الداخلي والعمل لتشكيل الحكومة، في عملية نظم أوركسترا التشكيل عبر تدخل متوازن حصل على الشكل التالي:

إصدار بيان عن مكتب الرئاسة في حركة أمل جاء فيه أنه لا توريث للسلطة في لبنان، وأن لبنان لكل اللبنانيين وليس لأطراف معينة منهم. وذلك يعني في صريح العبارة أنه محاولة تهدئة التصعيد من قبل قصر بعبدا. وتهدئة الرؤوس الحامية في إدارة رئيس الجمهورية، وبين مستشاريه وتياره ومناصريه. وقد يكون لهذا الموقف أهداف أخرى مضافة. لكننا نقف عند هذا الهدف الصريح لعلاقته بمقاصد هذا المقال.

ترافق هذا البيان مع خطاب سماحة الأمين العام لحزب الله في ذكرى يوم الجريح، والذي كان محيطاً بكل أبعاد الأزمة الداخلية والحكومية. ونتوقف عند محاولة تهدئة التصعيد في محيط الرئيس الحريري، ومحيطه ومستشاريه وتياره ومناصريه. وذلك عن طريق تقديم النصح له بأهمية قيام حكومة واقعية في لبنان مؤيّدة من القوى السياسية في البرلمان. لا يقف فيها أحد على التلّ يتفرج على حرب الفقر والمرض والجوع والغلاء والإفلاس التي شارك في صناعة مراحلها.

كان خطاب سماحة الأمين العام محيطاً من ناحية تحديد موقف حزب الله من مخاطر الحرب الأهلية وأنها مستحيلة، لأنه لا إرادة فيها ولا قدرة لأحد عليها ولا مصلحة للبنان بها وأنه يلزم حل مشكلة الحكومة بالتوافق والتفاهم. وليس بالتصعيد والسقوف العالية لأن لكل سقف علوّه المحسوب.

لم يتراجع حزب الله عن الاتفاق بشأن الحكومة بل أكد على ضرورته والعمل على تطويره إذا أمكن بالاتفاق الوطني. وهدف ذلك حثّ الأطراف على التفاهم والاتفاق وتهدئة النفوس وتصفية النوايا، حيث استطاع هذان الموقفان إعادة التوازن إلى اللعبة الداخلية. وإذا تحقّق تشكيل الحكومة تكون هذه التجربة هي الدليل الصريح على الدور الأساسي في الداخل اللبناني للثنائية الشيعية السياسية. وهو دور يحفظ لبنان من الانزلاق إلى المأزق السياسي والصراعات ومخاطر الأزمات والحروب ويحميه من نفسه ومن الأعداء وهو أمر لافت ومهم. والإشارة إليه لا تعني أنه مكسب لأصحابه بقدر ما هو مكسب للبنان. نأمل أن يتحقق ذلك في تشكيل الحكومة والخروج من الأزمة، وحصول الفرج للبلاد والعباد، وإتمام الأمر بمسيرة الإصلاح والبناء على السواء.

* كاتب ووزير سابق

قضية

يقف نحو خمسمئة فلسطيني يقطنون 28 منزلاً على مرمى حجر من نكبة جديدة في حيّ الشيخ جراح في القدس المحتلّة. إذ أصدرت محكمة العدو قرارات بإخلاء المنازل من أصحابها الأصليين لمصلحة مستوطنين وجمعيات إسرائيلية استولت زوراً وبالخديعة على 18 دونماً. ومع أن المقدسيين يعوّلون على الأردن لإنقاذهم بوثائق أصلية تُثبت حقهم في الأرض، تقول المملكة إنها سلّمت ما بحوزتها من وثائق، فيما تؤكد السلطة أنها تنتظر وثائق مثبِّتة

نكبة جديدة تنتظر «الشيخ جرّاح»: 500 لاجئ في مهبّ الطرد

القدس - **مي رضا**

28 منزلاً فلسطينياً مهدَّدة الآن بالتهجير والإخلاء في حيّ الشيخ جرّاح في القدس المحتلة لمصلحة مستوطنين، عقب قرار محكمة إسرائيلية إمهال الفلسطينيين حتى الثاني من أيار/ مايو المقبل للرحيل، ورفضها طلبات الاستئناف الفلسطينية كافة بذريعة وجود وثائق بحوزة الجمعيات الاستيطانية تثبت أن تسجيل الأرض يعود إليها. تعود بداية هذه المأساة إلى النكبة الفلسطينية عام 1948، حين هُجّر المئات من قاطني الحيّ قسراً إلى القدس المحتلّة، لتلي ذلك محطّة ثانية عام 1956، وفق نبيل سعيد الكرد، وهو أحد أصحاب المنازل المهدَّدة. آنذاك، استقرّ أصحاب المنازل في الشيخ جرّاح بناءً على اتفاقات تأجير بينهم وبين وزارة الإرشاد والتعمير الأردنية و«وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين» (الأونروا)، قضت بأن يقطن المهجَّرون في الحيّ ثلاث سنوات مقابل خمسين فلساً أردنياً كلّ سنة، على أن يتخلّوا عن حقهم في مساعدات «الأونروا»، ثمّ يجري تطويب كلّ بيت وإثبات ملكيته عبر الحكومة الأردنية بعد انقضاء مدّة الاتفاقات.

انتهى الحكم الأردني للأراضي المحتلة عام 1967 بما فيها مناطق في القدس ومنها الشيخ جرّاح، ولم تتسلّم العائلات أوراق الملكية، لتستغلّ جمعيات استيطانية الثغرات القانونية مع فقدان الوثائق الأردنية. هكذا، سُجّلت ملكية أراضي الحي عام 1972 من دون علم الفلسطينيين، بعد تقديم الوقفيْن «السفاردي» و«الأشكنازي» اليهوديَين ورقة عثمانية قديمة «تدلّ على ملكية اليهود أرض الحيّ»، وفق المزاعم الصهيونية، علماً أن الجمعيات الاستيطانية تستغلّ قوانين ضُمّنت بالأساس للاستحواذ على أراضي المقدسيين خاصة والفلسطينيين عامة، كقانون «المصلحة العامة»، و«الأملاك اليهودية قبل النكبة»، و«أملاك الغائبين». أمّا القضاء الإسرائيلي، فلم يكلّف نفسه فحص صحّة ورقة الجمعيات الاستيطانية، بل صدّق عليها من دون اكتراث للعائلات الفلسطينية ووثائقها. ويؤكد المحامون الفلسطينيون، الذين تسلّموا القضية، أن ورقة المستوطنين «لا تثبت ملكية اليهود للأرض»، بل تشير إلى «حقّ استخدامها».

> **لا يزال المهدَّدون بالطرد ينتظرون وثائق أردنية رسمية لإنقاذهم**

يُشار إلى أنه في منتصف السبعينيات، رفعت الجمعيات الاستيطانية دعوى ضدّ أربع عائلات تقطن الحيّ لطردها من منازلها، لكن المحاكم الإسرائيلية آنذاك رفضت الدعوى على أساس أن الفلسطينيين مستأجرون ومحميّون قانوناً، من دون أن تفحص الزعم اليهودي بملكية الأرض. بعد ذلك، تفرّعت عشرات القضايا والجلسات، لتتجرّأ مسألة الحيّ إلى أجزاء متناثرة، وتتحوّل إلى دعوى ضدّ عائلة ما أو عائلات عدة وليس كلّ العائلات والبيوت، حتى جاء عام 1982 ووقع الأهالي ضحية لمحام يهودي يُدعى توسيا كوهين، ترافع عن نحو عشرين عائلة ضدّ قضايا تطالبها بإخلاء منازلها، لكنه أبرم من وراء ظهورهم اتفاق تسوية مع الجمعيات الاستيطانية ينصّ على الإقرار أن ملكية الأرض تعود إلى اليهود، مقابل وقف طرد العائلات وتدفيعها إيجاراً للجمعيات لـ99 عاماً. وعلى رغم إنكار العائلات تلك الاتفاقية ورفضها دفع الإيجار عند علمها بها، إلّا أن التسوية أثبتت «قانونياً» ملكية الأراضي لليهود كون المحامي مكلّفاً من الأهالي بالدفاع عن مصالحهم، وقد استمرّ الوضع على ما هو عليه حتى وفاة كوهين نهاية التسعينيات، ليكلّف بعده محاميان فلسطينيان.

في النتيجة، نجح المستوطنون والعدو في طرد أول ثلاث عائلات من الشيخ جراح في 2008، واستوطن في بيوتهم مستوطنون صاروا مجاورين لبيوت الحيّ قسراً وقهراً، وبدأوا المضايقات والاستفزازات المتتالية لإرغام بقية العائلات الفلسطينية على الرحيل، كما بقيت شرطة العدو تشنّ هجمات على الفلسطينيين بذريعة شكاوى من المستوطنين الذين اغتصبوا بيوتاً داخل الحيّ. ووفق تقرير لمكتب «أوتشا» في الأراضي الفلسطينية التابع للأمم المتحدة في تشرين الأول/ أكتوبر 2010، طُرد المستوطنون أكثر من 60 فلسطينياً من بيوتهم، ولا يزال 500 آخرين مهدَّدين بتهجيرهم. ويقع هذا الحيّ شمال البلدة القديمة في القدس، وله رمزية عند المسلمين والفلسطينيين، كونه يحمل اسم طبيب صلاح الدين الأيوبي، وقد قطنه المفتي أمين الحسيني، وهو يضمّ عدداً من المراكز والبعثات الدبلوماسية.

ومع أن «الشيخ جرّاح» يعاني من سوء البنية التحتية، ومساكنه آيلة إلى السقوط بسبب قِدَمها، لا يمنح العدو تراخيص بناء للفلسطينيين، ويحرمهم بناء منزل يتجاوز طابقيْن. كما أنه منذ النكبة يطمح إلى الاستيلاء عليه كاملاً لوصل المستوطنات بعضها ببعض وعزل الأحياء الفلسطينية، إضافة إلى إبعاد الفلسطينيين عن المسجد الأقصى قدر الإمكان. كذلك، يريد فتح الطرق أمام المستوطنين من غربيّ المدينة نحو «الجامعة العبرية» المقامة شرقيّها للسيطرة على شرقيّ القدس بأكمله، ليصير الحيّ «المفتاح نحو الشرق».

هنا، يرى الأهالي أن حلّ قضيتهم ووقف طرد المستوطنين لهم معلّقان بالأردن وما بحوزته من وثائق ملكية وأوراق رسمية، ولذا يطالبونه بالتدخّل وتسليم الوثائق للمحامين. في المقابل، تؤكد الخارجية الأردنية أنها سلّمت الوثائق ذات العلاقة للسلطة الفلسطينية في العامين الماضيين، بما فيها الاتفاقية بين أهالي الحيّ والأردن و«الأونروا». لكن الادعاء الأردني يصطدم بتصريحات الخارجية الفلسطينية التي قالت إنها تلقّت وثائق ناقصة، مضيفة أنه يجري «العمل على تأمين وثائق أخرى، علماً بأنه ليس من السهل توفيرها لأنها تعود إلى حقبة سابقة». حتى الوثائق التي وصلت «غير مختومة رسمياً وليست متعمَدة، ولا تعترف بها المحاكم الإسرائيلية، لأنها لا تحمل ترويس الأردن ولا تثبت ملكية العائلات الفلسطينية لبيوتها». وعلى رغم تقديم العائلات طلبات متتالية إلى عمّان بتسليم الوثائق المعتمَدة، تتواصل المماطلة، ولولا حملة #أنقذوا_حي_الشيخ_جراح #savesheikhjarrah، ما اضطرت الخارجيتان إلى الردّ بعد صمت مطبق حول القضية.

وقع الأهالي ضحية فخ نصبه محامي دفاع يهودي في التسعينيات (أ ف ب)

فلسطين

لا قائمة مشتركة بين «حماس» و«فتح»: رفض داخلي و«فيتو» خارجي

على رغم اقتراح «حماس» تشكيل قائمة مشتركة مع «فتح» خلال حوارات القاهرة، إلّا أن ضغط القواعد الشعبية لدى الحركتين في الاتجاه المعاكس جعل الفكرة بعيدة المنال، خاصة في ظلّ البون الشاسع في البرامج، وتخوُّف الطرفين من تشكيل قوائم موازية بخلاف «المشتركة»، فضلاً عن تحذير العدو، وقبله الأميركيين، رام الله، من خطورة مثل هذه الخطوة

غزة - **رجب المدهون**

مع أن «حماس» هي التي طرحت فكرة «القائمة المشتركة» في الانتخابات التشريعية الفلسطينية المقبلة، ثمّ ناقشتها قيادة «فتح» خلال اجتماع لجنتها المركزية بحضور رئيس السلطة، محمود عباس، في رام الله أمس، فإن الأولى عادت، صباح أمس، للتوضيح أنها تقصد «تشكيل قائمة وطنية عريضة» وليس حصراً مع «فتح». وقال عضو المكتب السياسي لـ«حماس»، حسام بدران، إن «القائمة... وطنية عريضة تضمّ طيفاً واسعاً من أبناء شعبنا وفصائله». وعلى رغم أن الفكرة صدرت عن المستوى السياسي في «حماس»، إلا أنها لاقت اعتراضاً واسعاً من قواعد الحركة، التي تضغط فئات واسعة منها في اتّجاه قائمة «حمساوية» خالصة مع فصائل المقاومة الحليفة، وبدرجة ثانية شخصيات وطنية ومستقلّة. ويرى المعترضون أن «القائمة المشتركة» ستعطي «فتح» غالبية في «المجلس التشريعي» المقبل، كون الأخيرة لن تقبل أقل من نصف مقاعد القائمة، فيما سيحصل المنشقّون عن «فتح» على مقاعد أخرى، وهو ما لا يصبّ في المصلحة «الحمساوية».

ولم يختلف الموقف لدى القواعد التنظيمية «الفتحاوية»؛ إذ وفق استطلاع أجرته «المجموعة الاستشارية لبحوث الرأي والإعلام»، فإن «92% من قواعد فتح ترفض القائمة المشتركة»، مقابل «77% من قواعد حماس»، الأمر الذي دفع عضو «مركزية فتح»، جبريل الرجوب، إلى تأجيل الردّ على مقترح «حماس» قبل أيام، وإحالته إلى اجتماع «المركزية» أمس. وتخشى أطراف داخل «فتح»، خاصة المقربة من عضو اللجنة نفسها عزام الأحمد، أن تستغلّ «حماس» القائمة للدفع بقوائم تابعة لها تحت مسمّيات مستقلّة بما يزيد من عدد مقاعدها.

> **أبلغ رئيس «الشاباك» عباس برفض القائمة عقب تلقّي الأخير موقفاً أميركياً مماثلاً**

وإذ تلقى فكرة «المشتركة» رفضاً داخلياً، فإن الضغوط الخارجية على عباس في شأنها لم تتوقّف أيضاً. وفي هذا السياق، كشفت القناة العبرية «الـ12» أن رئيس جهاز «الشاباك»، نداف أرغمان، التقى في وقت سابق هذا الأسبوع رئيس السلطة في المقاطعة، ونقل إليه «تحذيراً إسرائيلياً شديداً» في شأن ثلاث قضايا، منها نيّة «فتح» الدخول في قائمة مع «حماس»، وحتى الاتفاق على تشكيل حكومة وحدة، فضلاً عن تعاون سلطته مع «محكمة الجنايات الدولية».

وأضافت القناة أن أرغمان حذّر «أبو مازن» من «أخطاء جسيمة يصعُب التراجع عنها لاحقاً»، داعياً إيّاه إلى «إجهاض هذه الأفكار باكراً»، لأنها ستؤدي إلى «تراجُع مكانته وقوته السياسية في حال تشكيل حكومة مع حماس أو خوض الانتخابات معها في قائمة واحدة». كذلك، نقل مسؤول أميركي إلى عباس رسالة مشابهة، تُحذّره من أن تؤدّي حوارات القاهرة إلى تمكين «حماس» من العودة إلى لعب دور في الضفة المحتلة، أو تولّيها حقائب في الحكومة أو الوصول إلى ميزانية السلطة. ويأتي هذا وسط حديث عن نيّة واشنطن تعليق تجديد الدعم المالي وإعادة العلاقات مع السلطة إلى ما بعد الانتخابات.

في شأن هذي علاقة، علمت «الأخبار»، من مصادر في «فتح»، أن عباس تراجَع عن حصر الترشّح لمنصب الرئاسة بمَن يحظى بدعم من أحد الأحزاب أو الكتل في «التشريعي»، وذلك بعد ضغوط مارستها الفصائل خلال حوارات القاهرة، التي لم تُفضِ إلى تحقيق شيء من مطالبها سوى التوقيع على «ميثاق شرف» لسير الانتخابات، ثمّ تنسيق آلياتها مع «لجنة الانتخابات المركزية». وترى الفصائل وأطراف داخل «فتح» أن القرار السابق لرئيس السلطة يهدف إلى تقليل عدد المرشّحين، ومنع ترشُّح أيّ شخص آخر من «فتح»، خاصة القيادي الأسير مروان البرغوثي، الذي جدّد نيّته الترشّح، وفق تصريحات القيادي المقرّب منه، حاتم عبد القادر، الذي أكد أن البرغوثي لن يخوض انتخابات «التشريعي» حتى لو كان على رأس قائمة «فتح»، وأن عزمه على الترشّح للرئاسة «نهائي»، على رغم أن «مركزية فتح» لم تُحدّد مرشّحها بعد.

وسط ذلك، تتواصل الخلافات داخل «فتح»، إذ يكمل عباس عقوباته على القيادي المفصول حديثاً من الحركة، ناصر القدوة، بقراره إقالته من رئاسة مجلس إدارة «مؤسسة ياسر عرفات» وعضوية مجلس أمنائها، وتعيين علي مهنّا قائماً بالأعمال ثلاثة أشهر، وفق ما نشرته «وفا» الرسمية. وعلمت «الأخبار» من مصادر أن عودة الدعم المالي المتوقّف حالياً إلى «مؤسسة عرفات» سيُستأنف خلال أسابيع، فور عقد أول اجتماع لمجلس الأمناء.

ترفض القواعد الداخلية في الحركتين مبدأ «القائمة المشتركة» من الأصل (أ ف ب)

الأردن

احتجاجات الأردن متواصلة: سياسة الإلهاء لا تعمل

نفّذت الأجهزة الأمنية الأردنية عشرات الاعتقالات بحقّ متظاهرين كسروا أوامر «قانون الدفاع». واستمرّوا في احتجاجاتهم ليوم آخر، على رغم التحذيرات الأمنية، وسط مطالبات بوقف العمل بـ«الدفاع». تستبق الذكرى العاشرة لفضّ اعتصام «24 مارس». يأتي ذلك في ظلّ مناوشات من تحت الطاولة مع إسرائيل، التي تستمرّ صحافتها في نبش قصة منع عمّان تحليق طائرة بنيامين نتنياهو في أجوائها

عمّان ــ **الأخبار**

يعيش الأردنيون أسوأ أيّامهم مع جائحة «كورونا»، وسط العدد المحدود من اللقاحات المتوفّرة، مقابل ارتفاع منحنى الإصابات التي تجاوزت تسعة آلاف يومياً، عدا الوفيات التي تناهز السبعين، والإعلان رسمياً عن نسبة إشغال بلغت 100% في بعض الأقسام المخصّصة لـ«كورونا» في المستشفيات الحكومية. يأتي ذلك بعد أيّام قليلة على حادثة السلط التي سلّطت الضوء على تدهور أوضاع القطاع الصحّي وهشاشة بنيته وضعف كوادره، فيما حكومة بشر الخصاونة تُلوّح، مثل سابقتها، بالعودة إلى الحظر الشامل بعدما نفّذت حظراً جزئياً. وهو ما ولّد احتقاناً كبيراً لدى المواطنين الذين يمرّون بظروف اقتصادية سيئة، في ظلّ ارتفاع جنوني لأسعار بعض المواد الأساسية بأكثر من 60%.

ويُجلّي تخبّط الإجراءات الحكومية وتضارُب التصريحات الرسمية حالة الاضطراب الداخلي والتلبُّك في دوائر صنع القرار المشغولة بصراعات على مستوى رفيع، تتدخّل فيها قوى خارجية، إقليمية ودولية. مع ذلك، تغيب أخبار الاحتجاجات المحلّية، باستثناء رواية «الأمن العام» الذي يتحدّث عن القبض على متظاهرين يحملون جنسيات عربية، وهذا أمر متكرّر منذ سنوات، بل إن كان حقيقياً، فهو يؤشر إلى استهداف يمسّ أمن الدولة، لكن سرعان ما تذهب هذه الرواية أدراج الرياح بعد سكون الاحتجاجات، التي، على محدوديتها ورمزيتها، تأتي في مرحلة يسعى فيها مستشارو الملك إلى رفع شعبيّته. لكن خروج المواطنين في محافظات عُرفت بالموالاة سابقاً يشي بتململ كبير من الحكم في مئويته الأولى، وهذه المرّة من أبناء العشائر الذين احتضنوا النظام وكانوا ركائز استقراره.

في أيام الملكية الرابعة للملك عبد الله الثاني، تراجَع دور هؤلاء الموالين لحساب شخصيات ليبرالية لا تفرزها العشائر كما في السابق، بل تنتقيها دوائر صنع القرار، مُحدثةً شرخاً في البنى العشائرية، وخاصة أن المناصب الحكومية تخضع لميزان محاصصة مناطقية وعشائرية دقيقة. وهذه المرّة، توزّعت التحرُّكات على المحافظات إلى جانب العاصمة، وهي، على رغم ضعفها، تؤشر إلى ما سيحمله يوم 24 آذار/ مارس الذي يُمثّل الذكرى العاشرة لفضّ اعتصام سنة 2011 في ميدان جمال عبد الناصر ـ دوار الداخلية، والذي أسفر عن استشهاد مواطن أردني، بعدما استُخدم العنف لتفريق المتظاهرين الذين مثّلوا طيفاً واسعاً من القوى السياسية والشعبية. ومع أن أحداثاً أكبر تلته، فإنه احتفظ برمزيته التي جمعت كلّ الأطراف مقابل الحكومة وأجهزتها الأمنية في أكثر الأماكن حيوية في عمّان.

أمّا على منصات التواصل الاجتماعي، فخرجت شخصيات معارضة لتُعبّر عن تضامنها مع التحرّكات، مُحمّلةً الملك مسؤولية الوضع سياسياً واقتصادياً، مع الإشارة إلى السبب الحقيقي لغضب الملك، وهي رغبة جهات خارجية (قد تكون واشنطن منها) في إعادة وليّ العهد السابق، الأمير حمزة (الأخ غير الشقيق للملك وابن الملكة نور التي عرفت أخيراً بتغريدات تزعج أبو ظبي والرياض) إلى الواجهة. وترافق ذلك مع ظهور حمزة في أحد بيوت العزاء في السلط، بالتزامن مع إعفاء أخيه هاشم (متزوج بسعودية عائلتها مقرّبة من العائلة المالكة) من مهمّاته كبيراً للأمناء. وداخلياً، يتمتع حمزة بقبول جماهيري، وخاصة أنه جرى تحضيره لمهمة ولاية العهد في عصر أبيه، ومن هنا يبدو مفهوماً اللجوء إلى المؤسسة الأكثر قبولاً وهي الجيش، من أجل إكساب عبد الله توازناً مهمّاً، إن صدقت تلك التقارير حول الضغط عليه لإعادة حمزة.

> **يُجلّي تخبّط الإجراءات الحكومية وتضارُب التصريحات الرسمية حالة الاضطراب الداخلي**

هكذا، وبدلاً من أن تزيد حادثة إلغاء وليّ العهد الحالي، الأمير حسين، زيارته للقدس، ووقف رحلة رئيس حكومة العدو، بنيامين نتنياهو، إلى الإمارات، من شعبية الملك، لم يتجاوز الحدث مقالات الولاء التي سوّدت أوراق الصحف المحلية، والمواقع الإعلامية المحسوبة على الموالاة، في حين أن المواطن مشغول بهواجس «كورونا» ولقمة عيشه ولا تعنيه الرواية الأردنية للأحداث، بل يفضّل أن يأخذها من الصحافة العبرية التي بات الأردن في دائرة اهتمامها خلال الشهرين الأخيرين. فهي وحدها من تحدّث عن الأمر بوضوح، مشيرة إلى توجيه نتنياهو بعد أيّام بمنع الرحلات الأردنية من دخول المجال الجوي الإسرائيلي. وبينما استجابت وزيرة النقل، ميري ريغيف، لطلبه، مُوجّهةً بإخطار الجانب الأردني بالمنع خلال 45 دقيقة، رفض مسؤولو المطار التنفيذ، وخاصة أن طائرات عدّة غير أردنية تستخدم الأجواء ولا مجال لإيقافها.

ويُنقل عن نتنياهو غضبه الشديد من تصرُّف الأردنيين الذين منعوا الطائرة الخاصة الإماراتية من مغادرة عمّان إلى تل أبيب لنقله إلى الإمارات، فيما أرجعت أبو ظبي إلغاء الرحلة إلى «مشكلات فنّية» ولم تَلُم عمّان، ليعقّب ذلك تغريد نتنياهو بأن وليّ عهد أبو ظبي، محمد بن زايد، توسّط لحلّ المشكلة التي «انتهت خلال 90 دقيقة». لكن الأكيد أن الأردن ما كان ليخطو خطوة من هذا النوع بلا ضوء أخضر من حلفائه الإقليميين، وعلى رأسهم الإماراتيون الذين سرعان ما لبّوا الطلب الأميركي بالامتناع عن استضافة نتنياهو، مستخدمين عمّان وسيلة لتنفيذ رغبة واشنطن. وإذا دلّ ذلك على شيء، فإنما على أن الحكم في الأردن لم يستطع صياغة معادلة «مجزية» مقابل خدماته للإسرائيليين أو الأميركيين أو حتى الخليجيين، فقد كان يكفي مثلاً طلب لقاحات أو سيولة لضخّها داخلياً لإسكات الغضب الشعبي، لكن إسرائيل رأت أن إعادة 700 عامل أردني إلى وظائفهم في فنادق إيلات منّة منها، وخصوصاً أنها لقّحتهم على حسابها، ما يجعل حساب التراضي على إلغاء زيارة وليّ العهد رخيصاً، وغير كفيل بإسكات هتافات تتحدّث عن «أربعين حرامي»، مع «علي بابا» الذي ليس على أرض الواقع إلّا الملك!

تأتي التظاهرات هذه المرّة من أبناء العشائر الذين احتضنوا النظام وكانوا ركائز استقراره (أ ف ب)

اليمن

إسقاط كامل جبهة هيلان: المعركة داخل مأرب المدينة

لأوّل مرّة منذ بدء تقدُّمها في محيط مدينة مأرب، استطاعت قوات صنعاء نقل المعارك إلى داخل النطاق الإداري لمدينة مأرب، بعد تمكُّنها من إسقاط كامل جبهة هيلان. يأتي ذلك فيما تؤكّد المصادر العسكرية في صنعاء أن «لا رجعة عن قرار تحرير المدينة»، مُجدّدة دعوتها المقاتلين في صفوف «التحالف» إلى العدول عن خياراتهم

صنعاء ــ رشيد الحداد

تمكّنت قوّات صنعاء، في خلال الساعات الـ 24 الماضية، من تحقيق خرق كبير على جبهات مأرب، أجبر حكومة هادي على الاعتراف بسقوط جبهة هيلان التي تمتدّ من سلسلة جبال هيلان المطلّة على المدينة، إلى بوابتها الغربية. خرقٌ دفع قوّات الرئيس المستقيل إلى الانسحاب في اتّجاه مناطق الصمدة والميل والسويداء القريبة من الأحياء الغربية لمأرب، فيما تمكّن الجيش و«اللجان» من محاصرة عدد من الجبهات الواقعة

> **آثار انهيار قوّات هادي في محيط مدينة مأرب اتهامات متبادلة بين «الإصلاح» والميليشيات الجنوبية**

في غرب المشجح، والتقدُّم في إيدات الرّاء وفي مواقع متقدّمة في اتجاه المدينة.

وجاء سقوط جبهة هيلان تحت سيطرة قوّات صنعاء بعد مواجهات عنيفة استمرّت قرابة 12 ساعة، أدّت إلى انسحاب قوات هادي والميليشيات المساندة لها تباعاً منذ فجر يوم أمس، تاركةً وراءها قتلى وأسلحة حديثة وآليات سعودية. وهو ما أكّدته مصادر قبلية أفادت «الأخبار» بأن الجيش و«اللجان» تمكّنا من إحكام سيطرتهما على جبل هيلان الاستراتيجي، حيث كانت قوّات هادي تتموضع في مواقع على أطرافه. وأسفرت مواجهات الساعات الماضية عن إسقاط تلك المواقع والتقدُّم في المناطق المحيطة بالجبل، وصولاً إلى استكمال السيطرة على جبهة هيلان بشكل كلّي. كذلك، سيطرت قوات صنعاء على معظم مواقع خصومها في وادي ومنطقة نخلا غربي مدينة مأرب، بعد انسحاب هؤلاء في اتجاه تبّة المصارية، آخر الحاميات التي تطلّ على غرب ووسط مدينة مأرب.

ومع نقل الجيش و«اللجان» المعركة إلى المناطق القريبة من البوابة الغربية لمركز المحافظة، تحدّثت مصادر مطّلعة في مدينة مأرب، إلى «الأخبار»، عن قيام ميليشيات «حزب الإصلاح» بإنشاء خنادق تبعد عن الأحياء السكنية ثلاثة كيلومترات، بعد فرار العشرات من عناصرها إلى منطقتَي الميل والسويداء. وقدّرت المصادر المساحة التي سقطت تحت سيطرة قوّات صنعاء بنحو 10 كيلومترات مربّعة في محيط جبل هيلان، من أصل 18 كيلومتراً تفصل الجبل عن المدينة. وبحسب مصدر عسكري رفيع المستوى في صنعاء، تمكّن الجيش و«اللجان» من نقل المعارك من مديرية صرواح إلى المدينة من أكثر من اتجاه، فيما دارت الاشتباكات في نطاق المدينة الإداري. وقال المصدر، لـ«الأخبار»، إن «قرار تحرير مدينة مأرب من عناصر القاعدة وداعش الإرهابية لا رجعة عنه»، داعياً «المغرّر بهم من قِبَل ميليشيات حزب الإصلاح بالمال السعودي إلى العودة إلى حضن الوطن والاستفادة من قرار العفو العام، والعدول عن القتال إلى جانب التنظيمات الإرهابية في غرب مدينة مأرب». وأكّد المصدر «مقتل أكثر من 3000 عنصر من قوّات هادي والميليشيات المساندة لها، وإصابة 6000 آخرين خلال الفترة الماضية».

ومع انتقال المعارك إلى نطاق مدينة مأرب، واصل الجيش و«اللجان» تقدُّمهما في مناطق المشجح، ووسط انهيار الخطوط الدفاعية لقوّات هادي أسفل جبل المشجح. وبعد تقدُّمها إلى ما بعد جبل هيلان شرقاً، نفّذت قوّات صنعاء عملية التفاف على مواقع قوّات هادي شمال إيدات الراء، لتُحرز تقدُّماً كبيراً في المنطقة، وتُسيطر على عدد من التباب الصغيرة الموجودة في نطاقها. وكانت قوّات صنعاء قد سيطرت، أوّل من أمس، على منطقة العطيف الاستراتيجية غربي مأرب، ومنطقة ملبودة، لتُسقط كامل جبهة المشجح السفلي الاستراتيجية. كما تقدّمت، أمس، في اتجاه منطقة الحيلة القريبة من أنبوب النفط الرابط بين منطقة صافر النفطية وميناء رأس عيسى في الحديدة، وأيضاً في اتجاه منطقة المقهوي. تقدّم تزامن مع استمرار المواجهات بين الطرفين في ما تبقّى من الطلعة الحمراء التي حوّلها الجيش و«اللجان» إلى بؤرة استنزاف للحشود التي تستقدِمها ميليشيات «الإصلاح» والسعودية من المحافظات الجنوبية.

وأثار انهيار قوّات هادي في محيط مدينة مأرب اتهامات متبادلة بين «الإصلاح» والميليشيات الجنوبية، إذ تتّهم الأخيرة الأوّل بـ«الخيانة»، بسبب رفضه تقديم أيّ تعزيزات لمواقعها، ورفعه إحداثيات «كيدية» لطيران التحالف السعودي ــ الإماراتي. وأكّد ناشطون جنوبيّون مقتل العشرات من المسلّحين الذين ينحدرون من محافظة أبين بغارة جوية في وادي نخلا غربي مأرب، نتيجة تعرُّض تجمُّع لهم لغارة خاطئة. وعلى رغم دعم طيران «التحالف» قوّات هادي والميليشيات المساندة لها بأكثر من 38 غارة، أمس، فشلت تلك القوّات في إيقاف تقدُّم الجيش و«اللجان» في جبهة هيلان وما بعدها.

جاء سقوط جبهة هيلان تحت سيطرة قوّات صنعاء، بعد مواجهات عنيفة استمرت قرابة 12 ساعة (أ ف ب)

مصر

هدنة إعلاميّة بين تركيا ومصر: طريق التطبيع تتعبّد

أصدرت الحكومة التركية تعليمات مباشرة للمصريين المقيمين على أراضيها بالتزام الحياد في تناول الموضوعات المتّصلة ببلادهم، تحت طائلة الترحيل والتسليم للسلطات الأمنية في القاهرة. خطوة كانت متوقّعة في ظلّ بوادر التقارب الأخيرة بين البلدين، لكن القاهرة لا تزال تتوجّس حيال نيّات أنقرة

القاهرة ــ الأخبار

هذه المرّة، لم يأتِ الحديث من مصادر متضاربة، بل عبر تصريحات رسمية من مسؤولَين أتراك ومسؤولَين في قنوات جماعة «الإخوان المسلمون» التي تبثّ من تركيا، أكدوا صدور توجيهات رسمية تركية بـ«التزام الحياد والتوقّف عن مخالفة مواثيق الشرف الإعلامية عند تناول الشأن المصري». خطوة تأتي تمهيداً لاتفاقات وتفاهمات عدّة يجري الترتيب لها بين القاهرة وإسطنبول، وسط سقف طموحات مرتفع يصل إلى عقد قمّة ثنائية بين عبد الفتاح السيسي ورجب طيب إردوغان، في حال التزام سلطات الأخير بجميع تعهّداتها، ليس على المستوى الإعلامي فقط، وإنما على مستويات أخرى، كما تشترط القاهرة.

وأوضح المستشار في حزب «العدالة والتنمية» الحاكم، ياسين أقطاي، في دردشة عبر «كلوب هاوس»، أن هذه الخطوة جاءت استجابة لمطالب مصرية، قائلاً إن بلاده لم تكن تتابع ما يُبثّ عبر هذه القنوات، لكنها بعد المتابعة طلبت من القائمين عليها ألّا يكونوا محرّضين، مضيفاً إن المطلوب منهم «إعادة النظر في الخطاب الإعلامي وضبط الألفاظ المستخدَمة»، لكنّه تعهّد بأنه لن يجري تسليم أيّ مواطن على الأراضي التركية. وعلى رغم نفي أقطاي اعتزام أنقرة تسليم أيّ مصري أو إعادة المطلوبين أمنياً، تسود حالة تخبُّط شديدة القنوات المعارضة التي تعاني من أزمات مالية متعاقبة، دفعتها إلى تقليص العمالة وتخفيض النفقات. وستكون لندن هي الوجهة الأولى لكثيرين، وخاصةً الذين توقّفت برامجهم حالياً.

في المقابل، لم تُعلّق مصر على القرار التركي، الذي تبعه قرار غير معلن في الإعلام المصري، سواء الذي تديره المخابرات أو الرسمي، بمنع أيّ إساءات بحق إردوغان، ووقف الأخبار السلبية عن تركيا سياسياً واقتصادياً، لكن مؤقّتاً، مع تأكيد الاستمرار في متابعة ما يجري بثّه من إسطنبول للتأكّد من التزام الطرف التركي بما أُعلن رسمياً. مع ذلك، أثارت مسارعة وزير الدولة للإعلام، أسامة هيكل، إلى الترحيب بوقف الانتقادات عبر القنوات العاملة في إسطنبول، استياءً في الأوساط الموالية للنظام، ولا سيما مع تجاوز الوزير صلاحيّاته ليتحدّث في الشأن السياسي، علماً بأنه أحد الوزراء المتّخذ قرار باستبعادهم في التعديل الحكومي المرتقب.

يشعر المسؤولون المصريون بالارتياح لتحقُّق الشرط الأول لقبول القاهرة الجلوس على طاولة المفاوضات وبحث الخلافات مع أنقرة، علماً بأن ثمّة جدولاً زمنياً وترتيبات يفترض أن تنتهي بلقاء مشترك يجمع السيسي وإردوغان، سواء في بلد ثالث أو باستضافة الأخير في القاهرة، في حال تنفيذ جميع المطالب، بما يسمح بإعادة العلاقات إلى ما كانت عليه قبل 2013، وهو ما يتوقف على مدى الإسراع في الخطوات التركية، وخاصة في المواقف الدولية التي تعدّ النقطة الأهمّ الآن، بحسب ما يقوله المصريون. والنقطة التالية، من وجهة نظر القاهرة، هي إعادة المرتزقة الذين أُدخلوا إلى ليبيا ودعم حكومة عبد الحميد دبيبة، الأمر الذي ستناقشه مصر مع الجانب التركي الذي توقّف منذ مدة قصيرة عن إرسال مزيد من المقاتلين، مع وجود تقارير تتحدث عن الاستعداد لبدء إعادتهم إلى بلادهم مجدّداً أو على الأقلّ صياغة آلية للتعامل معهم ووقف استخدامهم.

> **من الشروط المصرية أن يبادر إردوغان إلى طلب مكالمة السيسي ولقائه**

لكن مصر، التي تستضيف أوّل الاجتماعات الرفيعة المستوى بين مسؤولي البلدين، لا تتوقّع تطبيعاً سريعاً للعلاقات، وخاصة أن مثل هذه الخطوة تحتاج، على الأقلّ، إلى التنسيق مع حلفاء مصر العرب، وفي مقدّمهم السعودية التي تتّسع الهوّة معها يوماً بعد آخر بسبب سياسات ولي العهد، محمد بن سلمان، وطلباته من القاهرة، والإمارات التي تتابع بحساسية عالية جميع المواقف، مع كلّ من فرنسا واليونان وقبرص. على أيّ حال، تتوقّع مصر أن تكون القمّة بين السيسي وإردوغان بعد الانتخابات الرئاسية المقبلة في تركيا أو ربّما قبل ذلك، لكن طبقاً لمدى استجابة أنقرة للشروط المصرية، وفي مقدّمتها أن يعلن إردوغان طلبه محادثة السيسي ولقاءه وليس العكس، وهي نقطة يجد فيها المسؤولون المصريون ردّ اعتبار إلى الرئيس بعد التعليقات السلبية من إردوغان بحقه على مدار سنوات. أمّا تركيا، كما تنقل مصادر مصرية، فلا ترى حرجاً في التواصل مع السيسي بصفته رئيساً لمصر، مع «تأكيد الروابط التاريخية التي تجمع بين الشعبين»، وهي اللغة المشتركة الآن في خطابات مسؤولي البلدين، علماً بأن جزءاً كبيراً من المخاطبات الرسمية المصرية التي تصدر عبر مصدر مسؤول في الخارجية تخرج من المخابرات التي تدير الملف كلّياً، بتوجيهات من اللواء عباس كامل.

تقرير

مغامرة حظر «الشعوب الديموقراطي»: إردوغان يهندس سياسةً بلا أكراد

لم تتوقّف مساعي الرئيس التركي، رجب طيب إردوغان، وحليفه دولت باهتشلي، لشقّ صفوف المعارضة عبر إرباك الحالة الكردية، إفساحاً في المجال أمام بقائهما في السلطة لما بعد عام 2023. وهو احتمال يبقى قائماً في مالو أيّد «الحزب الجيّد» القومي المعارض حظر «حزب الشعوب الديموقراطي»، ما سيعني أوّلاً التوافق مع رؤى الثنائي إردوغان - باهتشلي بإخراج العنصر الكردي من المشهد السياسي، وثانياً تحفُّل تداعيات تغييب مكوّن رئيس يتمتّع بحيثية شعبية واسعة

محمد نور الدين

يتناوب حزبا "العدالة والتنمية" و"الحركة القومية" على توزيع الأدوار في ما بينهما، بهدف شقّ صفوف المعارضة. ومع بدء استهداف الحركة الكردية، و"حزب الشعوب الديموقراطي" على وجه الخصوص، تكون مغامرة اجتياح الحالة الكردية قد لامست حدّ الخطوط الحمر التي ستنقلب من جرّائها الأدوار والمهام. وتُبيّن استطلاعات الرأي أن "تحالف الجمهور" بين حزبَي "العدالة والتنمية" برئاسة إردوغان، و"الحركة القومية" برئاسة دولت باهتشلي، لا يزال يتخلّف عن "تحالف الأمة" المدعوم من "الشعوب الديموقراطي". وتلك نتيجةٌ تستدعي إرباك الحركة الكردية من أجل إضعاف جبهة المعارضة، التي يُحتمل أن تزداد وهناً في ما لو أيّد "الحزب الجيّد" القومي المعارض إجراءات حظر الحزب الكردي، حيث سيكون حينها بإمكان الثنائي إردوغان- باهتشلي ضمان بقائهما في السلطة بعد عام 2023. لذلك، جاء إعلان باهتشلي، أخيراً، ضرورة "إغلاق حزب الشعوب الديموقراطي باعتباره مسألة عاجلة وملحّة ومصيرية"، وشرطاً لاستمرار التحالف مع إردوغان.

في ضوء ما سبق، مثّل يوم الأربعاء الماضي علامة فارقة على بدء مرحلة جديدة من محاولة هندسة الحياة السياسية في تركيا، وإدخالها، ولو بعد فترة، في طور تغييب العنصر الكردي عن المشهد السياسي. لهذه الغاية، أقيمت دعوى لحلّ "الشعوب الديموقراطي"، في موازاة إسقاط حصانة النائب الكردي عن دائرة كوجاعلي، عمر فاروق غيرغيرلي أوغلو. لم تغمض عينُ "العدالة والتنمية" عن "الشعوب الديموقراطي" منذ الانتخابات البلدية في منتصف عام 2019، والتي وجّهت إنذاراً للحزب الحاكم، بعد انتصار المعارضة في معظم البلديات الكبرى، ولا سيما في مدينة اسطنبول. انتصارٌ لا يمكن أن يمرّ من دون تداعيات على معركة رئاسة الجمهورية التي يفترض أن يخوضها الرئيس الحالي، على رغم التباينات الدستورية حول ترشّحه. وعلى هذه الخلفية، يمضي إردوغان في خطّة مواجهة المعارضة، عبر السعي إلى خلخلة صفوفها، ومحاولة ضرب خاصرتها الرخوة، "الحزب الجيّد"، الذي ينتمي إلى التيار القومي المتشدّد، والمتحالف مع "حزب الشعب الجمهوري" ضمن "تحالف الأمّة"، المعارض هو الآخر. وإذ تضمّ المعارضة كذلك "حزب الشعوب الديموقراطي"، فإن خلق صدع بين التيارَين القومي والكردي يشكّل الهدف الرئيس لإردوغان، وهو ما باشر فيه فعلاً من خلال خطوات متعدّدة بدأت منذ أكثر من سنة ونصف سنة.

في المرحلة الأولى، كانت محاولة فكّ "الشعوب الديموقراطي" عن قواعده، عبر إقالة معظم رؤساء البلديات التابعة للحزب من مناصبهم، وتعيين موالين لـ"العدالة والتنمية" بدلاً منهم. ومن ثمّ، بدأ توجيه تهم مختلفة إلى قادة ونواب في الحزب، على رأسهم رئيسه السابق، صلاح الدين ديميرطاش. وتمثّلت المحاولة الأخيرة في إسقاط الحصانة البرلمانية عن النائب غيرغيرلي أوغلو، في موازاة فتح دعوى لحظر "الشعوب الديموقراطي" نهائياً بتهمة التعامل مع "حزب العمّال الكردستاني" المصنَّف في تركيا "منظمة إرهابية". واستُكملت الإجراءات بعمليات اعتقال طالت رؤساء فروع الحزب في اسطنبول، أول من أمس، ومنها فرع بشيكتاش.

وفيما كان الجميع يتطلّع إلى الموقف الذي سيتبنّاه "الحزب الجيّد"، دعا نائب رئيس الحزب، ياووز أغير علي أوغلو، "الشعوب الديموقراطي" إلى فتح معركة في وجه "العمّال الكردستاني" و"إخراج الإرهاب ليس من أجندته السياسة وحسب، بل من أجندة كلّ الوطن"، لأنه "بالبقاء في ظلّ الإرهاب، ومن دون فتح هذه المعركة، فإنه يغلق نفسه بنفسه". ورأى أن "أيّ حزب يبقي نفسه في ظلّ الإرهاب يجب أن يغلَق. ومن يُحلّ بالقوانين، يجب أن يعاقَب". موقفٌ أدخل بعض الشكوك في أوساط المعارضة، وإن كان من المبكر الحكم على ما إذا كان سيتسبّب بشرخ في صفوفها، ولا سيما أنه لا يمكن "الحزب الجيّد" أن يتّخذ موقفاً علنياً معارضاً لدعوى حظر الحزب الكردي.

وفي ردود الفعل، هناك شبه إجماع على أن القرار سياسي بامتياز؛ حتى مدّعي عام الجمهورية السابق، بولنت يوجي تورك، وصف القرار بأنه سياسي، متسائلاً عمّا إذا كان أولئك الذين "اجتمعوا مع الحكومة عام 2015 وأصدروا بياناً "إرهابيين أم سياسيين؟". وفي هذا الإطار، برز المفكّر إيمري كونغار على رأس المدافعين عن غيرغيرلي أوغلو، إذ رأى أن "الدفاع عنه هو دفاع عن الحريات والحقوق الأساسية التي كفلها الدستور والتي سيحتاج إليها يوماً ما كلّ واحد منا"، معتبراً، في مقالة نشرتها صحيفة "جمهورييت"، أن الحاجة ماسّة إلى الدفاع عن الديموقراطية وعدم تخريب دولة الحرّيات التي نصّ عليها الدستور، إذ ليس من المهمّ، بحسبه، "معرفة من هو غيرغيرلي أوغلو، بل المهمّ هو ماذا فعل وماذا لم يفعل. وما دام خلال الدعوى نائباً منتخَباً، يجب أن لا تسقط عنه الحصانة قبل صدور الحكم. وبما أنه توجّه معترضاً إلى المحكمة الدستورية، فإن المرحلة القانونية مستمرّة، ويجب عدم إسقاط النيابة عنه". لكن رئيس البرلمان خالف كلّ الأعراف، وطرح موضوع إسقاط

> **دخل «الشعوب الديموقراطي» البرلمان بعدما نال أكثر من 13% من مجموع الأصوات**

العضوية عنه، وفاز بتحالف أصوات "العدالة والتنمية" و"الحركة القومية". من جهته، أعرب أحمد داود أوغلو، رئيس "حزب المستقبل" الناشط بقوّة ضد "العدالة والتنمية"، عن اعتقاده بأن "همّ إردوغان ليس محاربة الإرهاب، بل في مكان آخر، إذ إنه يعيش حالة خوف تتوسّع"، متسائلاً: "كيف تطلبون أصواتاً من ناس لا تحترمون أصواتهم وتعتبرونها لاغية؟"، ومضيفاً أنه "مع الأسف، إنها السياسة نفسها التي يقوم بها إردوغان والتي كان هو ضحيّتها في وقت سابق". أمّا علي باباجان، رئيس "حزب الديموقراطية والتقدُّم"، فشدّد على أن تصحيح الديموقراطية لا يكون بالاعتقال بل بتقوية النزعة الديموقراطية، فيما رأى الرئيس السابق، عبد الله غول، أن إسقاط الحصانة عن غيرغيرلي أوغلو، كما الدعوة إلى حظر "الشعوب الديموقراطي"، "عمل خاطئ"، متسائلاً: "كيف للحكومة أن لا ترى أن هذا الإجراء لا معنى له ويشكّل عبئاً عليها؟".

وفي وقت كان فيه بعض نواب "العدالة والتنمية" يحاولون إخراج غيرغيرلي أوغلو من قاعة البرلمان بعد إسقاط حصانته النيابية، استحضر الكاتب حسن جمال حالة نواب أكراد "أمسك البوليس برقابهم" عام 1994، وهم خارجون من البرلمان لسوقهم إلى السجن، وعلى رأسهم النائبة السابقة ليلى زانا. ورأى جمال أن إسقاط حصانة غيرغيرلي أوغلو يُعدّ ضربة مميتة لإرادة الأمة والديموقراطية وحقوق الإنسان، متسائلاً: "كيف يمكن الدولة أن تُسقط الحصانة وتغلق حزباً نال ستة ملايين صوت؟". وما جرى، بحسبه، يمثّل ضربة للبرلمان في ظلّ سلطة إردوغان التي وصفها بأنها "فاشية". وفي مقالة ثانية، يوم أمس، قال: "هل الظلم في حقّ الأكراد جلب للبلاد العدالة أو السلام أو الديموقراطية؟"، مضيفاً: "فلنُغلق حزب الشعوب الديموقراطي! ألم تتحوّل تركيا منذ زمن طويل إلى مقبرة للأحزاب السياسية؟".

وتُذكّر صحيفة "يني أوزغور بوليتيكا"، المؤيّدة لـ"العمّال الكردستاني"، بأنه بعد 27 سنة بالضبط، يتحرّك المدعي العام لحلّ "الشعوب الديموقراطي"، وفي كل مرّة، كان يتأسّس حزب كردي جديد على أنقاض الحزب السابق. وبحسب الصحيفة، فقد حُظرت سبعة أحزاب خلال 27 عاماً، وها هو الحزب الثامن على عتبة الإغلاق. وما يميّز "حزب الشعوب الديموقراطي"، الذي تأسّس في عام 2012، أنه تمكّن من دخول البرلمان في انتخابات 7 حزيران/ يونيو 2015 بصفته حزباً وليس مجموعة مرشّحين مستقلّين، ونال أكثر من 13% من الأصوات، وتمثّل بـ 80 نائباً. ثمّ فاز في انتخابات الأوّل من تشرين الثاني/ نوفمبر بـ 10,8% من الأصوات و59 نائباً، وتلت ذلك حملة اعتقالات واسعة في عام 2016 شملت معظم نواب الحزب ورؤساء بلدياته. وفي انتخابات 24 حزيران/ يونيو 2018، نال الحزب 11,7% و67 نائباً، وها هو اليوم يتعرّض للإغلاق بأمل أن يرث "العدالة والتنمية" بعضاً من قاعدته الانتخابية. لكن برفين بولدان، الرئيسة المشاركة لـ"الشعوب الديموقراطي"، قالت بعد اجتماع اللجنة المركزية للحزب إن "أصوات الحزب كانت ستة ملايين، وقد تضاعفت من الأمس إلى اليوم لتبلغ 12 مليوناً"، مضيفةً: "(أننا) سنرفع أصوات حزبنا من 11%إلى 20%".

وأشارت بولدان إلى أن القمع والضغط على الحزب تكثّفا في السنوات الخمس الأخيرة، وأن "لا فرق بين هذه الحملات وبين مَن ألقى القنابل على البرلمان"، في إشارة إلى قصف الانقلابيين البرلمان في 15 تموز/ يوليو 2016. ودعت إلى السماح بمقابلة عبد الله أوجلان في سجنه، والممنوعة عنه المقابلات منذ ستّ سنوات. أمّا المواقف الخارجية، ولا سيما الأميركية والأوروبية، فلم تشذّ عن قاعدة انتقاد قرار دعوى الحظر، من دون أيّ خطوات ملموسة لوقف العملية أو تهديد باتخاذ أيّ إجراء.

أقيمت دعوى حلّ «الشعوب الديموقراطي»، في موازاة إسقاط حصانة النائب الكردي غيرغيرلي أوغلو (أ ف ب)

تقرير

توجيهات أميركية لأبو ظبي: ممنوعٌ استقبال نتنياهو

خلافاً لرغبة بنيامين نتنياهو في توقيع اتفاق التطبيع مع السودان، في ضيافة «الشريك» الإماراتي، قبل الانتخابات الإسرائيلية، جاءت التوجيهات الأميركية لأبو ظبي بالامتناع عن استضافة أيّ فعالية من هذا النوع. توجيهات سرعان ما امتثلت لها الإماراتيون، على رغم محاولتهم تصدير رفضهم استقبال نتنياهو بوصفه «تعفّفاً» من خدمة حملته الانتخابية

يحيى دبوق

ما لم تحدث مفاجأة، بات من المتعذّر على رئيس حكومة العدو، بنيامين نتنياهو، زيارة الإمارات، وإن كان مرحّباً به هناك بعد إجراء الانتخابات الإسرائيلية المقرّرة الثلاثاء المقبل. صدرت التعليمات من واشنطن، وما على أبو ظبي إلا الامتثال. كانت النيّة لدى نتنياهو أن يزور الإمارات قبل فتح صناديق الاقتراع في إسرائيل، إذ يتعامل مع الزيارة بوصفها جزءاً لا يتجزّأ من حملته الانتخابية، التي يلهث فيها وراء «الإنجازات» المُحقّقة في السياسة الخارجية، وتظهيرها على أنها إنجازات شخصية له، علماً أنها نتيجة ما فرضته الإدارة الأميركية السابقة على الدول العربية المُطبّعة. على هذه الخلفية، أراد نتنياهو للزيارة أن تكون استعراضية مشبعة بالحفاوة، مع صدى يتردّد في تل أبيب ولدى الناخب الإسرائيلي، الأمر الذي دفعه إلى البحث عن احتفالية ما تكون محلّاً لاهتمام وسائل الإعلام، بحيث يستطيع الاستفادة منها إلى الحدّ الأقصى. هكذا، وجد نتنياهو ضالّته في الخرطوم، عبر دفْع حاكم السودان للتوجُّه إلى أبو ظبي، كي يُوقّع معه، في ضيافة ولي عهد أبو ظبي محمد بن زايد، اتفاق التطبيع بين الجانبين. وافَق «الشريك» السوداني بلا تردُّد، بينما تريّث الجانب الإماراتي كي يستفهم موقف واشنطن، وشدّد على ضرورة مشاركة الجانب الأميركي، وعلى أعلى المستويات. وفقاً للإعلام العبري، الذي كشف تباعاً تفاصيل الزيارة التي لم تتمّ، لم ترْضَ واشنطن بأن تستقبل أبو ظبي نتنياهو إلّا بعد انتهاء العملية الانتخابية في إسرائيل، وهو ما وصل إلى مسامع المسؤولين الإماراتيين، فبادروا إلى الاستجابة الفورية. مع ذلك، تلقّى الإماراتيون تعهُّداً أميركياً بأن يكون الوفد الأميركي الذي سيشارك في احتفالية التوقيع مع الجانب السوداني، رفيع المستوى، وبرئاسة وزير الخارجية أنتوني بلينكن.

> كان رئيس الوزراء الإسرائيلي مستميتاً كي تنجز الزيارة قبل الانتخابات

بحسب موقع «واللا» العبري، فإن نتنياهو كان مستميتاً كي تنجز الزيارة قبل الانتخابات. ولهذه الغاية، مارس ضغطاً هائلاً على ابن زايد في الأسبوعين الماضيين، من بين وجوهه إرسال رئيس «الموساد»، يوسي كوهين، إلى أبو ظبي، حيث طرق الأبواب الإماراتية مدّة ثلاثة أيام، واستثمر كلّ ما لديه من طاقة كي يتلقّى الضوء الأخضر من مستشار الأمن الوطني الإماراتي، طحنون بن زايد، لزيارة نتنياهو. لكن حاكم الإمارات ظلّ متردّداً، كونه لا يريد أيّ احتفالية من دون رضى أميركي، لكنه في الوقت نفسه لم يمانع إضافة نقاط محدودة إلى رصيد نتنياهو، عبر منْح الموافقة على زيارة قصيرة للأخير. وهذا ما كان، إلّا أن نتنياهو نفسه تسبّب بإلغاء هذه الزيارة القصيرة أيضاً. يوم الاثنين الماضي، حلّ نتنياهو ضيفاً على إذاعة الجيش الإسرائيلي، حيث بدا معنيّاً بأن يُسمِع الإسرائيليين، على خلفية الضرورات الانتخابية، «إنجازات» من صنعه. ومن هنا، أعلن، ردّاً على سؤال حول التطبيع مع الخليج، أن الإمارات خصّصت 40 مليار شيكل، أي ما يزيد قليلاً على 10 مليارات دولار، كي تستثمرها في إسرائيل، مضيفاً أن ابن زايد هو مَن أخبره بذلك، وأن ولي عهد أبو ظبي يؤمن بسياسته الاقتصادية. وفقاً لمصادر إسرائيلية مسؤولة، وكذلك مصادر خارج إسرائيل نقل كلامها موقع «واللا»، فإن حديث نتنياهو عن المليارات العشرة كان «القشّة التي قصمت ظهر البعير»، لدى الجانب الإماراتي، فكان قرار أبو ظبي بإلغاء الزيارة. إلا أن نتنياهو عاد من جديد، الخميس الماضي، ليوحي بأن إمكانية الزيارة تجدّدت، فُسرّباً للإعلام أنه ألغى جدول مواعيده وفاعليات حملته الانتخابية الخميس، كي يتوجّه إلى الإمارات، لكن الجانب الإماراتي أسمع مَن يعنيهم الأمر أن الزيارة غير ممكنة. اللافت، كما ورد في الإعلام العبري، هو تملُّص نتنياهو، بعد كلّ تلك التطوّرات، من أصل الزيارة التي روّج لها طويلاً، وأعلن عنها مرّات عدة في الأسبوعين الأخيرين من دون أن تتحقّق. إذ في موازاة رفض مكتبه الإجابة عن أسئلة الإعلاميين في هذا الشأن، وادّعائه أن الزيارة لم تكن واردة أو مخطّطاً لها على الإطلاق، وصف نتنياهو، في تصريح لافت إلى الإذاعة الإسرائيلية، «قصة الرحلة إلى أبو ظبي» بأنها «تلفيق إعلامي»، قائلاً إنه لا يعلم مَن وزّعها على وسائل الإعلام. إنكار اضطراري هدَف إلى تقليص أضرار إبطال الزيارة، فيما أراد الجانب الإماراتي، خلافاً لحقيقة امتثاله لإرادة واشنطن بلا تردّد، الإيحاء بأن إغلاق الباب أمام نتنياهو مرتبط بأخطاء الأخير، وبرغبة الإماراتيين في أن لا يكونوا جزءاً من أدوات حملته الانتخابية.

لم ترْضَ واشنطن بأن تستقبل أبو ظبي نتنياهو إلّا بعد انتهاء العملية الانتخابية (أ ف ب)

إضاءة

الأحزاب الإسرائيلية [3]
«شاس»... حزب اليهود الشرقيين

دانية بلال

تحتلّ الأحزاب الدينية مركزاً مهمّاً في الحلبة السياسية الإسرائيلية. وعلى رغم أنها لم تستطع مجتمعةً الحصول على غالبية مقاعد «الكنيست»، إلّا أنها باتت في العقود الأخيرة تلعب في معظم الأحيان دوراً حاسماً في بناء الائتلافات وحتّى في إسقاطها. ولا شكّ في أن لهذه الأحزاب تأثيراً كبيراً في ازدياد سلطة الأصولية اليهودية، وحَمْل الحكومات الإسرائيلية على تبنّي مواقف أكثر تطرّفاً.

بدأ بروز الأحزاب الدينية في انتخابات «الكنيست» عام 1988، وإن كان وجودها يسبق ذلك التاريخ؛ إذ تُعدُّ من الأحزاب التاريخية التي نشأت خارج فلسطين، وتمدَّدت إلى داخلها في أعقاب موجات الهجرة اليهودية. وكانت البداية بتأسيس تكتُّل «همزراحي» عام 1902 إثر انشقاق بعض المتديّنين عن «المنظّمة الصهيونية العالمية». وبتأسيس كيان الاحتلال، عانى الزعماء الصهاينة الأوائل من الأحزاب الدينية التي تعايشت مع الدولة بدلاً من أن تندمج فيها، كونها تطالب خصوصاً بخلق مجتمع «قائم على الحكم الديني». وتتراوح مواقف هذه الأحزاب ما بين رفض الصهيونية ومناهضتها، بالنظر إلى اعتقاد بعضها بأن «دولة إسرائيل» ما هي إلّا ظاهرة زائلة، وبأن الصهيونية ستبطُل عندما يصل المسيح المنتظَر. وتنتمي جميع الأحزاب الدينية في إسرائيل إلى التيار الأرثوذكسي، وهي تنقسم إلى معسكرين: الأوّل «المتديّنون الصهاينة»، ومرجعهم الديني دار الحاخامية الرئيسة، وكان ممثّلهم «حزب المفدال»؛ والثاني «المتديّنون اليهود» ويسمُّون «حريديم»، ويمثّلهم حزبَا «يهودت هتوراه» و«شاس»، ومرجعهم الديني «مجلس كبار علماء التوراة».

«شاس»

كلمة «شاس» هي اختصار لـ«شومري توراه سفارديم»، أي «حرّاس التوراة السفارديم». أسّس الحزبَ الحاخام العراقي الأصل، عوفاديا يوسف، عام 1984. ويمثّل الحزب يهود «طائفة السفارديم»، أي اليهود الشرقيون الذين يعتنقون العقيدة والطقوس اليهودية السفاردية، ويقابلهم اليهود «الأشكناز» الذين ينحدرون من الدول الغربية ويتبعون طقوس الكنيس الألماني. ولا يتبع هذا الحزب القواعد الحزبية المتعارَف عليها عند تشكيل قاعدته التحتية من كوادر وقيادات، إذ يتمّ تسيير أموره من خلال «مجلس حكماء التوراة»، كما تُحدِّد مرجعياته الدينية ترتيب القائمة الانتخابية، وللحزب زعيمان، أحدهما روحي وهو الحاخام عوفاديا يوسف، وابنه ديفيد يوسف؛ والآخر سياسي هو أرييه درعي. ويتوزّع جمهور الناخبين لليهودية السفاردية، ويقابلهم اليهود «الأشكناز» الذين ينحدرون من الدول الغربية ويتبعون طقوس الكنيس الألماني. ولا يتبع هذا الحزب القواعد الحزبية المتعارَف عليها عند تشكيل قاعدته التحتية من كوادر وقيادات، إذ يتمّ تسيير أموره من خلال «مجلس حكماء التوراة»، وهذا يعني أنه يعارض، نظريّاً، الانسحاب من الضفة الغربية، ويرفض إيقاف الاستيطان، ويعارض قيام «دولة فلسطينية». ولعب «شاس» دوراً فاعلاً في الحياة السياسية، إذ حصل في أوّل انتخابات خاضها عام 1985 على أربعة مقاعد، ليتحوّل إلى رقم صعب في الائتلافات الحكومية. فمنذ تأسيسه، شارك في جميع الحكومات باستثناء حكومة شمعون بيريز (1996)، وحكومة أرييل شارون (2003)، وحكومة بنيامين نتنياهو (2013). ويشترط الحزب لدخول الائتلافات، الحصول على الدعم الحكومي لتغطية نفقات جمعياته. ويرأس «شاس» أحد أكثر الشخصيات السياسية فساداً، وهو أرييه درعي، الذي استقال من منصبه ليقبع في السجن لأكثر من عامَين. وقد تولّى درعي منصب وزير الداخلية عام 1988، وحافظ على منصبه حتى عام 1992. وعقب صدور نتائج انتخابات «الكنيست» عام 1999، استقال من عضويتها، بعدما حُكم عليه بالسجن بتهمة الحصول على رشى والتهرب من الضرائب واستغلال منصبه. وعاد درعي إلى الحلبة السياسية في عام 2012، ليرأس الحزب من جديد، لكنه استقال من منصب وزارة التجارة والصناعة، عام 2015. وظهر اسمه مجدداً في قضية فساد عام 2019. وقد تعهّد درعي، قبل بدء الحملة الانتخابية، بدعم نتنياهو في تشكيل الحكومة المقبلة، معلناً أن «شاس لن يذهب إلى أيّ حكومة غير معسكر اليمين».

> تقوم مبادئ حزب «شاس» على اعتبار إسرائيل «دولةً للشعب اليهودي»

المقال كاملاً على الموقع

وجهة نظر

قرار البرلمان الأوروبي حول البحرين: خطوة حقوقية أم فعل سياسي؟

يوسف ربيع *

مثّل قرار البرلمان الأوروبي إدانة انتهاكات حقوق الإنسان في البحرين صدمة لحكومة المنامة، التي لطالما استفادت من حالة التشتّت في هذه المؤسّسة التشريعية الأوروبية، وبالأخصّ أيام وجود بريطانيا التي كانت تُوفّر حماية مكشوفة لنظام آل خليفة أمام منتقديه. القرار، الذي صدر بموافقة أغلبية ساحقة (633 نائباً من أصل 689)، كان شاملاً في تناوُله الانتهاكات الجسيمة التي توزّعت فيها السلطات الحاكمة، وفشلها في تنفيذ إصلاحات حقيقية في المجال السياسي.

وحتى لا نُقع في قراءة حقوقية بحتة، على رغم أهميّتها، يجدر الحديث عن الصبغة السياسية التي يحملها القرار؛ إذ يضعه محلّلون في خانة الإشارات الأميركية غير المُعلَنة لحكومة البحرين بالتوجُّه إلى إدخال إصلاحات فورية. ولا شكّ، هنا، في أن قيام 15 منظمة حقوقية دولية بمخاطبة إدارة الرئيس الأميركي، جو بايدن، حول الوضع المأسوي في البحرين، كانت له مفاعيله في هذا الإطار.

> يُعدّ القرار متغيّراً سياسياً مهمّاً، خصوصاً أن البحرين تطمع في التعاون مع الاتحاد الأوروبي

تمثّلت الرسالة الأهمّ في القرار الأوروبي في دعوته ولي العهد، رئيس الوزراء الجديد سلمان بن حمد، إلى استخدام سلطته لدفع البلاد نحو الإصلاح واحترام حقوق الإنسان والحرّيات الأساسية. وتكمن أهمية هذه الدعوة في تمحوُرها حول ضرورة "مغادرة" الممارسات المزرية السابقة التي تقف خلفها شخصيات أمنية وأخرى نافذة في الديوان الملكي. إذن، الإتيان بخلاف السائد كان المطلوب، وهو عنوان استفزّ المتوزّطين من النافذين في الدولة الأمنية، أو "الحرس القديم". وعلى إثر ذلك، تمّ توجيه أعضاء في مجلسَي الشورى والنواب وكتّاب الأعمدة في الصحف المحلية ومنظمات "الجونجوز" بالهجوم على القرار، واعتباره "تدخُّلاً غير مسؤول" في الشأن الداخلي، وغير مستند إلى الحقائق والمعلومات الصحيحة التي تعكس "الواقع الديموقراطي". ولم ينسَ هؤلاء تمجيد التدابير المعمول بها بحرينياً، داعين الأوروبيين إلى تعلُّم مبادئ حقوق الإنسان من البحرين! وفي هذا الصدد، يستوقفك، أيضاً، بيان "الاتحاد البرلماني العربي" الذي وصف التقرير "بالمغرض"، وعدّه "تدخُّلاً سافراً" في الشؤون المحلّية للبحرين، علماً بأن رئيس الاتحاد هو عادل العسومي، النائب الحالي في البرلمان البحريني.

في المقابل، حاول رئيس الوزراء الجديد أن يعمل على تبييض الصفحة، بإقرار مجموعة من القوانين والتعديلات التي ما زالت شكلية في طابعها، ومنها "قانون العدالة الإصلاحية" الخاص باعتقال الأطفال وموضوع السجون المفتوحة، إضافة إلى تعيينات في وظائف حكومية عليا لكوادر شبابية، تبدو أقلّ إقصائية. إلا أن الحقيقة هي أنه لا قيمة لهذه التعديلات ما لم تنعكس على الواقع السياسي، عبر البدء بمصالحة وطنية تفضي إلى الإفراج عن المعتقلين السياسيين، والسماح بعودة المعارضة إلى الحياة السياسية، وإطلاق الحرّيات الصحافية، واحترام المبادئ العالمية لحقوق الإنسان.

(من الويب)

أيّاً يكن، لا نريد أن نبالغ في التعامل مع القرار، لكونه لا يحمل إجراءات تنفيذية، لكنه يُعدّ متغيّراً سياسياً مهمّاً، خصوصاً أن البحرين تطمع في التعاون مع الاتحاد الأوروبي. وهذا يمثّل فرصة جديدة أمام المعارضة لترجمة هذه المواقف في أفعال سياسية مقبلة، والاستفادة من المتغيّرات الواقعة في المنطقة والعالم، وبالأخصّ بعد تقرير الاستخبارات الأميركية في شأن السعودية، وما سيولّده من تداعيات على أنظمة الخليج.

* سياسي بحريني

ذكرى ٦ سنوات
يُصادف يوم غدٍ الأحد ٢٠٢١/٣/٢١
الذكرى السنويةٍ السادسة على وفاة
الدكتور غالب سعيد فرحات
عائلة الفقيد تدعو كلّ من عرفه وأحبّه أن يذكره في صلواته
رحمة الله عليه ولكم من بعده طول البقاء

مطلوب

مطلوب ممرضين(ات) مجازين(ات) ومساعد(ة) ممرض لبناني(ة) للعمل في مركز بحنس الطبي الرجاء إرسال السيرة الذاتية على البريد الإلكتروني: hr@bhannes.com أو الاتصال على الرقم 04/983770 مقسّم 1122 (بين ال7:30 وال 14:30 من الاثنين إلى الجمعة وبين ال8:00 وال13:00 نهار السبت).

إشتراكات
إعلانات رسمية ومبوبة
وفيات
الأخبار
www.al-akhbar.com
هاتف 01-759500
فاكس 01-759597

استراحة

كلمات متقاطعة 3597

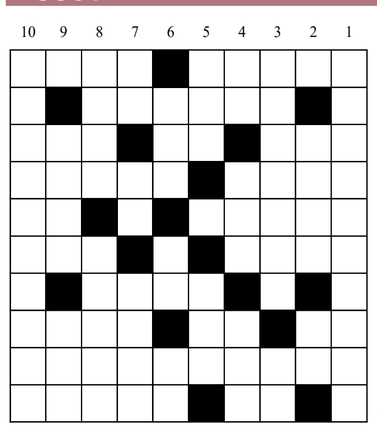

أفقيا

1- عاصمة آسيوية – شهر هجري – 2- عاصمة كازاخستان سابقاً – 3- دولة عربية – حفر البئر – حرف هجائي – 4- ابن سام بن نوح – ماركة سيارات – 5- نوع من القماش – بحيرة – 6- صفّة المشي بلا حذاء – فتل الحبل – 7- نوع من الثعابين – 8- حرف نصب – حيّة زعم العرب أنها تطير – آنسة مدركة لم تتزوّج – 9- عاصمة أوروغواي – 10- بواسطتي – خير الأمور

عمودياً

1- كتاب مشهور لإبن حزْم – 2- مدينة في أبو ظبي – عاصفة بحرية – 3- عاصمة فنزويلا – صاح النيس – 4- نعم بالأجنبية – إنسان – جدتي باللغة العامية – 5- في العود – إبعاد خارج البلاد لأسباب سياسية – 6- ندم وتحسّر على الماضي – إسم موصول – ماركة صابون – 7- حرف جر – للندبة – عائلة مطرب كويتي – 8- إمرأة حبلى – متحف مدريد الوطني في اسبانيا – 9- يشرح الدرس – مدينة فرنسية – 10- ممثل كوميدي لبناني راحل

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- زهيّ – الرفيق – 2- كمبالا – درص – 3- الهند – آر – 4- نادين – دينا – 5- أسر – دردنيل – 6- صتّ – را – دا – 7- يملّ – مس – فِتن – 8- فرْقا – اوسلو – 9- اينونو – قبّ – 10- سرطان البحر

عمودياً

1- زكي ناصيف – 2- هم – إستمرار – 3- يبادر – لقيط – 4- آلي – انا – 5- الهندام – ون – 6- لان – سانا – 7- د د د د – وول – 8- فدّ – ينافس – 9- يراني – تلقحّ – 10- قصر الصنوبر

sudoku 3697

9	3		6					7
	8		5				2	
	1	6	7	8		9		
8				9				4
7			3		6			2
				1				
1				7	8		5	6
	6				2		7	
		9			3	2	1	

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 3696

9	1	5	6	7	2	8	4	3
3	8	7	1	4	9	6	2	5
6	4	2	8	3	5	7	9	1
7	5	9	2	8	4	1	3	6
1	3	4	5	6	7	2	8	9
2	6	8	9	1	3	5	7	4
5	2	1	4	9	8	3	6	7
4	7	6	3	2	1	9	5	8
8	9	3	7	5	6	4	1	2

مشاهير 3697

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

ممثلة وكاتبة سيناريو ومخرجة أميركية بدأت مسيرتها الفنية عام 1972 من الفائزات بجوائز أوسكار وجائزة غولدن غلوب. من أعمالها « ضائع في الترجمة »

3+2+1+10+5 = شعر الخراف ■ 8+9+6 = كأس ماء ■ 4+7+11 = حروف العلة العربية

حل الشبكة الماضية: سامي ابو زهري

إعداد نعوم مسعود

الأخبار
al-akhbar
السبت 20 آذار 2021 العدد 4300

صورة وخبر

كشف الفنان الفرنسي JR، أمس الجمعة، النقاب عن تجهيزه البصري الجديد «لا فيريتا» (الجرح) على واجهة «قصر ستروزي» في مدينة فلورنسا الإيطالية. أعاد JR تجسيد واجهة هذا الصرح العائد إلى عصر النهضة، من خلال تقنية الخداع البصري التي يشتهر بها. هكذا، يبدو كأنّه يفتح المبنى ليكشف عن رؤية داخلية حقيقية وخيالية في آنٍ واحد، تحقّقت باستخدام كولاج فوتوغرافي بالأبيض والأسود. أما الهدف، فهو إثارة نقاش حول إمكانية الوصول إلى الثقافة في عصر كوفيد-19. يندرج هذا العمل في إطار إطلاق برنامج Palazzo Strozzi Future Art، وهو مبادرة فنية معاصرة جديدة تتضمن لجنة فنية عامة سنوية لفلورنسا. (ألبيرتو بيزولي ـ أ ف ب)

أريج أبو حرب: عن تمويل الثقافة

بعد فترة من الانقطاع بسبب الإغلاق، تستأنف «جمعية الأدب والثقافة» تنظيم الأنشطة الثقافية. هكذا، تدعو يوم الجمعة المقبل في مقرّها في صيدا (جنوب لبنان)، إلى حضور لقاء مع الباحثة والفاعلة الثقافية أريج أبو حرب (الصورة). يتمحور الموعد حول موضوع تمويل وسياسات المؤسّسات الثقافية. ويطلب المنظّمون من الراغبين في الحضور الالتزام بالإجراءات الوقائية من فيروس كورونا، لناحية التباعد الاجتماعي وارتداء الكمامة.

لقاء «المؤسسات الثقافية وأزمة التمويل»: الجمعة 26 آذار (مارس) الحالي ـ الساعة السادسة مساءً ـ مركز «جمعية الأدب والثقافة» (صيدا ـ جنوب لبنان/ حي الست نفيسة ـ بناية التنمية ـ الطبقة الخامسة). للاستعلام: 70/417206 أو jameeiye1955@yahoo.com

جائزة خير الله: «الغربة» صعبة

في سنتها السادسة، خصّصت «جائزة خيرالله» موضوعها لكتّاب وسينمائيين عالجت أعمالهم تجارب المهاجرين اللبنانيين وعلاقتهم بلبنان وبلد المهجر ومجتمعاتهم وأسفارهم. وأخيراً، أعلن «مركز موييز خيرالله لدراسات الانتشار اللبناني» (ولاية نورث كارولينا الأميركية) نتائج جائزته لعام 2020، بفوز الشاعرة والكاتبة اللبنانية الكندية رلى الجردي أبي صعب (الصورة ـ عن رواية «في علبة الضوء»/ دار الآداب)، والمخرج اللبناني زين ألكسندر (عن فيلم «الغربة»). في هذا السياق، قال مدير المركز، أكرم خاطر، إنّ الجردي وألكسندر تميّزا «دقّةً وتأثيراً وتصويراً لإظهار ملامح غنية وعميقة من حياة المهاجرين، وعلاقتهم المعقّدة المتأرجحة بين حياتهم السابقة في لبنان وحياتهم الحالية في أميركا».

أدونيس يعلن ولادة الربيع... شعراً

من زمن لم نسمع أدونيس (الصورة) يقرأ شعراً. وها هو الشاعر يعود إلينا في «أمسية شعرية» من نوع خاص، عبر العالم الرقمي، ليعلن ولادة الربيع. سيكون هواة الشعر، ومحبّو صاحب «مهيار الدمشقي» ومحبّاته، على موعد، طوال 24 ساعة، ابتداءً من منتصف ليل 21 آذار/ مارس، مع تسجيلات حديثة، يؤدّي فيها مجموعة من قصائده التي تغطّي شتّى مراحل وحقبات سيرة إبداعيّة تجاوزت نصف قرن. مشاهد فيديو صمّمتها الفنانة المعاصرة نينار إسبر، تبثّ عبر موقع إلكتروني مخصّص لهذه الغاية... موعد مع المتعة الصرف إذاً من خلال إلقاء الشاعر والمفكّر السوري بقصائده، «احتفاءً بالشعر وبجمال اللغة العربية»، بحسب نصّ الدعوة الإلكترونيّة، أمام كاميرا ابنته. وهذه الأخيرة سبق أن نشرت قبل سنوات كتاباً بالفرنسيّة بعنوان «أحاديث مع والدي أدونيس» (الترجمة العربية عن «دار الساقي»، 2010). بعيداً عن آراء أدونيس السياسية وكتاباته في الفكر والنقد، قرّرت نينار أن تستجوب الإنسان، الأب والشاعر.

وقد احتفل العرب والعالم، العام الماضي، بعيد ميلاد أدونيس التسعين، فأطلقت العديد من المبادرات في هذه المناسبة، من بينها موقع adonis90.org الذي ضمّ شهادات مثقفين من مختلف أنحاء العالم لبّوا دعوة أرواد إسبر والفيلسوف الفرنسي دوناسيان غرو. استعادت الشهادات ـ بأساليب مختلفة ـ مسار صاحب «الثابت والمتحوّل» ونتاجه، وريادته، ونظرياته النقدية، وسجالاته المتشعّبة، ومساهمته التأسيسية في الحداثة العربية، والحياة الشعرية والفكرية. مسيرة حافلة انطلقت من دمشق إلى بيروت الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي، وتستمر الآن في باريس، كانت زاخرة بالمؤلفات والدواوين وبيانات الحداثة. وتتربّع في قلبها قصيدة النثر التي كرّستها مجلة «شعر» مع أدونيس ويوسف الخال وأنسي الحاج وشوقي أبي شقرا وخالدة سعيد وآخرين...

*بدءاً من منتصف ليل الأحد 21 مارس، ولمدّة 24 ساعة، على العنوان الآتي: www.adonis-mounchidan.com

انتخابات العدوّ على طاولة البحث

يدعو «حراك حيفا» و«مجلة الآداب» و«حملة مقاطعة داعمي «إسرائيل» في لبنان»، غداً الأحد، للمشاركة في ندوة رقمية بعنوان «انتخابات الكنيست: شعب واحد، عدوّ واحد». يتحدّث في اللقاء المرتقب، كلّ من: الكاتب والمحلل السياسي ساري عرابي، رئيس تحرير «الآداب» سماح إدريس، الكاتب والصحافي سليم سلامة والمتحدثة باسم «حراك حيفا» أسرار كيال. تتولّى الصحافية في شبكة «قدس» الإخبارية لينا أبو الحلاوة مهمّة التقديم، على أن تتخلّل النشاطَ فقرةٌ مخصّصة للأسئلة والمداخلات. علماً بأنّ الانتخابات مقرّرة في 23 آذار (مارس) الحالي.

ندوة «انتخابات الكنيست: شعب واحد، عدوّ واحد»: غداً الأحد ـ الساعة السابعة مساءً بتوقيت بيروت والقدس المحتلة ـ منصة «زوم» (الرابط متوافر على موقعنا)

الأخبار
al-akhbar

السبت 20 آذار 2021
العدد 4300 السنة الخامسة عشرة
Samedi 20 Mars 2021 nº 4300 15ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي
www.al-akhbar.com

إيزابيل ألليندي
حكاية امرأة شجاعة

تأمل إيزابيل ألليندي أن يتمكّن كتابها الأحدث «روح امرأة»، الذي صدرت ترجمته الإنكليزية بداية الشهر الحالي (عن Ballantine Books)، من «إضاءة الشعلة لبناتنا وحفيداتنا» اللواتي «سيكون عليهن العيش من أجلنا، كما عشنا نحن من أجل أمهاتنا، والاستمرار في العمل الذي لا يزال يتوجب القيام به». إحدى أشهر الروائيات التشيليات وصاحبة التجربة الروائية الغزيرة، تكتب هذه المرّة شذرات ومقتطفات من سيرتها الذاتية، وتحديداً تلك التي تطرق مواضيع الحب والمرأة والنسوية، وثيمات أخرى لا تبتعد عن أفكار رواياتها الواقعية السحرية التي تجاوزت العشرين، وانتقل عدد كبير منها إلى العربية. في الكتاب، تبحث ألليندي في ذاكرتها عن معنى أن تكون واحدتنا امرأة، خصوصاً من خلال تجربة والدتها التي هجرها زوجها باكراً. يعتبر الكتاب نسخة موسّعة من كلمة ألقتها في محاضرة خلال مؤتمر نسائي في مكسيكو سيتي، دفعتها إلى البحث في مسار حياتها الفردي والعائلي الطويل والمتشعّب. الموضوع الذي توغل من خلاله ألليندي في ذاكرتها الشخصيّة، لا يخلو من تأمّلات عامّة حول مواضيع الشباب والشيخوخة وتشييء المرأة. تستدعي ذكريات شخصية أولى من دون أن تتخلّى عن سرد القصص والشذرات، مثلما تتذكر رؤية أمّها وحيدة، برفقة ثلاثة أطفال. ستستعيد ذلك المشهد كأحد الملامح النسوية الأساسية التي بدأت تتبلور في شخصيتها. كانت حينها لا تزال في الثالثة من عمرها حين تنبّهت إلى وحدة أمّها التي كان عليها أن تقوم بإعالة الأطفال بمفردها. ألليندي التي بدأت تجربتها كصحافية في بلادها، بعملها على توثيق قصص ضحايا الاعتقال والوحشية في نظام بينوشيه، اضطرّت إلى أن تغادر تشيلي مع زوجها وطفليها للعيش في فنزويلا، المنفى الذي قضت فيه 13 عاماً، وشهد بداية تجربتها الروائية مع باكورتها «بيت الأرواح» عام 1982. ستتوقّف في الكتاب الجديد عند الحقوق الإنجابية للمرأة، مستعيدة تاريخاً طويلاً من معاناة النساء مع العنف الجنسي، حيث تصرّ على تعريف النسوية على أنها «ليس ما يقع بين أرجلنا ولكن ما يقع بين آذاننا»، مؤكّدة أن هذا التعريف وحده هو موقف فلسفي يتمرّد على سلطة الرجل الطويلة. تجاربها الشخصيّة في الزواج والعلاقات تشكّل ملمحاً أساسياً في هذا الكتاب، خصوصاً أنه يتقاطع مع ما كشفت عنه في مقابلة أخيراً، منها اتهامها من قبل المقرّبين بأنها مجنونة لأنّها قرّرت الطلاق من زوجها السابق وهي في السبعين من عمرها. يشكّل «روح امرأة» مقتطفات من سيرة ذاتية سياسية ونسوية شخصية، تكشف فيها الكاتبة السبعينية عن ملامح النظام الأبويّ منذ طفولتها في تشيلي، وصولاً إلى محطات لاحقة من حياتها وأسفارها.

ملف

المئوية الثانية على ميلاد إحدى أيقونات الأدب الخالدة

فيودور دوستويفسكي... «مايسترو» الشياطين والملائكة

يحتفل العالم هذا العام، بدعوة من منظمة اليونيسكو، بالذكرى المئوية الثانية لميلاد فيودور دوستويفسكي (1821 ــ 1881) في برنامج يشمل معظم العواصم العالمية. لن ننظر إلى مكابداته الشاقة في عبور قرنين مضطربين، من موسكو إلى كل القارات، ليصبح اليوم واحداً من أيقونات الأدب الخالدة، فقد كانت حياته على الحافة. خطوات قليلة أبعدته عن الإعدام بالرصاص بسبب مناهضته للقيصر وإلا كنّا فقدنا 18 مجلداً من أعماله النفيسة أو كما يقول الروائي الروسي فالنتين راسبوتين «بفضل دوستويفسكي، تمكّن البشر من أن يعرفوا أشياء كثيرة عن ذواتهم، وما هو الشيء الذي لم يكونوا مستعدين بعد لإدراكه». في المقابل، لم تتمكن الحروب الإيديولوجية الشرسة التي خاضها معاصروه ضده، من الإطاحة بمنجزه الخلّاق بتهمة التشاؤم والسوداوية، وبأنه شخص مريض، و«بالغ الرداءة» وفقاً لما قاله لينين عنه. نظّن بأن صاحب «ذكريات من بيت الموتى» قد ترك ندبة من نوع ما في أرواح ملايين القرّاء اليوم، تبعاً للطعنات النفسية التي عالجها بعمق، وبما تنطوي عليه من مكاشفات خشنة تضع الفرد أمام مصيره الجحيمي وجهاً لوجه. على الأرجح، لقد خسرنا نصوصاً كان لها أن تكون أكثر إشعاعاً لو أتيح له أن يكتب على هواه، وليس تحت وطأة الديون وتسديد الفواتير المعيشية المؤجلة، ونوبات الصرع، إلى درجة أنه لم تتيسر له قراءة ما يكتبه. ورغم غزارته في الكتابة، كان يتساءل وهو ينجم إلى ساحة الإعدام: «هل من المعقول ألا أمسك القلم بيدي؟ يا إلهي ما أكثر الشخصيات التي ظلت حيّة، فهي ستهلك وتنطفئ في رأسي». هكذا أضحت روايات دوستويفسكي مرجعاً وملهماً للملايين. يعترف أينشتاين بأن دوستويفسكي ساعده على تطوير النظرية النسبية أكثر من علماء الرياضيات، كما أرشد فرويد إلى اكتشاف جوانب من النفس البشرية، والأمر ذاته بالنسبة إلى كافكا وهايديغر وآخرين. مائتا سنة لم تلغ حضوره، إنما ازداد إشعاعاً، حتى أن الصحافيّة الفنلندية كريستينا روتكيرش وصفت الأدب الروسي ما بعد دوستويفسكي وانهيار الاتحاد السوفياتي بأنه «منذ صنف من السجق وفكرة واحدة»، في إشارة إلى نضوب الأدب ووفرة السلع الأخرى. وسوف يهدينا المترجم الراحل سامي الدروبي نسخة عربية نفيسة لأعمال دوستويفسكي الكاملة التي رصدت أغلبيتها المناخ السياسي والاجتماعي الفوضوي لروسيا المعاصرة. منذ ذلك اليوم، سنتعرّف عن كثب إلى هذه الشخصية التي تحتشد بالألغاز، والورع والإثم، والشياطين والملائكة، جيلاً وراء آخر. هنا شهادات روائيين عرب عن تأثير صاحب «الإخوة كارامازوف» على تجاربهم في قراءة أعماله أولاً، وحضورها في كتاباتهم ثانياً

تقديم **خليل صويلح**

لاسزلو فولدني - هنغاريا

معلمي الكبير

واسيني الأعرج *

يعيدني سؤال دوستويفسكي وتأثيراته، إلى بداية مراهقتي في «ثانوية الشهيد ابن زرجب»، عندما مُنحتُ جائزة التفوق Le prix d'excellence، التي تُقدّم عادة للتلاميذ المتفوقين في نهاية السنة، وهي ثلاثة أنواع: الجائزة الشرفية، الجائزة التشجيعية وجائزة التفوق. وكنا نتنافس على مدار السنة للحصول عليها. الجميل في الجائزة أنها لم تكن نقدية، لكنها عبارة عن مجموعة من الكتب بالفرنسية، وقليل منها بالعربية. من بين كتب الجائزة التي كانت من حظّي، أتذكّر: «سوناتا إلى كروتزر» للكاتب ليون تولستوي. خمس روايات لدوستويفسكي. أي كل ما يجعل مني شيطاناً رجيماً بعد قراءتها: «المقامر»، و«الجريمة والعقاب»، و«الأبله»، و«الإخوة كارامازوف»، و«الشياطين».

من حسن حظي أني بدأت برواية «الجريمة والعقاب». عندما انتهيت من قراءتها، قضيت مدة طويلة أفكّر في الانتقام من الذين وشوا بوالدي بأنه كان مع الحركة الثورية، وتسببوا في استشهاده على كرسي التعذيب في الحقبة الاستعمارية، والانتقام أيضاً من الذين كانوا يشترون مصوغات أمي اليتيمة بأسعار زهيدة، والذين أخذوا جزءاً من أرضنا التي خلّفها الوالد. كنت أرى نفسي، في حالات السهو، متقمصاً شخصية «راسكولينكوف»، وهو يجوب شوارع سان بطرسبورغ بعد تنفيذ جريمته الثنائية، ضد المرابية «إيلونا إيفانوفا» التي اشترت منه ساعته القديمة بسعر زهيد، وضد امرأة الصدفة التي شاء القدر أن توجد هناك في المكان والزمن غير المناسبين. من حظي أني قتلت أعداء أمي ذهنياً عشرات المرات، بآلالة الحادة نفسها، وأحياناً بالتسميم بلا ندم ولا صرخة راسكولنيكوف «لقد قتلتُ نفسي، وليس العجوز الشمطاء». قرأت بعدها «الأبله»، وأحسست أنّ بيني وبين الأمير ميشكين حقيقة شبه غريبة، في طيبته وتواضعه ومساعدته للغريب ولمن انقطعت به السبل. لهذا كرهت قريبته وحبيبته «أناستاسيا» الجميلة الساحرة، المحظية، المجنونة التي كانت تسخر من سذاجته. قبل أن أكتشف البعد الآخر في أعماق الأمير وتراجيديته. كل تلك الروايات التي قرأتها في وقت مبكر صنعت جزءاً مهماً من نظام الكتابة لديّ. عرفت أنها الروائع الأربع التي كتبها فيودور دوستويفسكي، بعد خروجه من إعدام نُفذ منه بصدقة، قبل تنفيذه بقليل وتحوّله إلى أعمال شاقة في سيبيريا. هذه الأعمال مجتمعة وغيرها، تعلّمت منها أشياء كثيرة في مجال الكتابة. أولاً: الإنسان ليس سطحاً متاحاً، فالمتاح كثيراً ما يكون خادعاً. ونحن عندما نكتب، علينا أن نأخذ هذا البعد النفسي في الاعتبار، فهو الحاسم في علاقتنا العملية مع الآخرين ومع بناء الشخصيات الروائية. لهذا فبناء الشخصية على صعيد الكتابة أعقد، وربما الإخفاق في نص من النصوص يبدأ من هنا. ثم المسافة في بنائها. صحيح أن في الشخصيات شيئاً من أنفاس الكاتب، مقامرة، سجينة، كارهة للحياة، سياسية، مصابة بالصرع، إلى غير ذلك، مثلاً، فقد عانى سميردياكوف في رواية «الإخوة كارامازوف» من نوبات الصرع، لكن ذلك كله لا يجعل منه دوستويفسكي. حياة دوستويفسكي نفسها تشكّل أكبر رواية حقيقية في تعقيدات مساراته الحياتية، وكيف نُفذ من الإعدام بعدما اتُّهم بالانضمام إلى مجموعة سياسية مُعارضة للاستبداد القيصري والعبودية الروسية. وقد اتُّهم وقتها بقراءة الكتب والأعمال المحظورة، والمساعدة في نشرها وتعميمها، بالأخص كتاب بلنسكي «رسالة إلى غوغول». هناك لحظات غريبة في حياة بعض البشر، إذ أن المسافة بين الموت والحياة تكاد لا تُرى. في لحظة تنفيذ الإعدام، صدر حكم مخفّف، أربع سنوات سجناً في سيبيريا، قضى بعدها جزءاً منها هارباً من دائنيه. ثانياً: وهذا العنصر مرتبط بما قبله. إن الرواية ليست لحظة عابرة أو ضربة مزاج تجاه ما يحيط بنا، ولكنها عمل شاق، وأن الكتابة محنة مثل الحياة، وجلد كبير وحرية واسعة أيضاً مهما كانت المخاطر التي تحيط بنا، وإلا سنخسر مشروع الكتابة منذ اللحظة الأولى. الشبكة البنائية التي قاد بها رواياته مثل سيمفونيا كان فيها هو المايسترو بحنكته الكبيرة، تحتاج إلى قوة ذهنية تعمل فيها كل الحواس بشكل متشابك، ولا يوجد المقدس في البنية الروائية. كل شيء يمكن أن ينسف إبداعياً في أي لحظة من اللحظات. لم يكن يتنبأ سلفاً بمآلات شخصياته، هناك منطق الكاتب ومنطق الرواية اللذان يفرضان نفسيهما على المخطط المسبق. وما يبدو تنظيماً فوضوياً من منطق القراء والنقّاد تحديداً، قد لا يكون كذلك بالنسبة إلى الكاتب. وكان التاريخ هو الحكم. فقد انتهكت رواية «الأبله» كل المواضعات الروائية وسارت في مسالكها الوعرة. لا توجد مسبقات شكلية، هذا كان مفصلاً أساسياً في روايات وإبداعات دوستويفسكي.

تعلمت منه أن الكتابة هي في النهاية نحن، الأفراد وعصرهم الذي يعيشونه، هي مسار إنساني معقّد غير معني بحجم الصفحات، لأنّ الكتابة في النهاية لا تحيل إلى حجمها ولكن إلى قوتها وتفصيلاتها المتجانسة التي تجعل من عالم لغوي تجريدي عالماً مرئياً حقيقياً من دقة الوصف وقوته. لهذا كثيراً ما أسخر من كلام «البدانة الروائية» لأن هذا المنطق اللاأدبي سيجعلنا نتخلّص من أجمل ما أبدعته العبقرية البشرية: ليون تولستوي، دوستويفسكي، جميس جويس، مارسيل بروست، نجيب محفوظ. قيمة النص الروائي تتجسّد في قوة نظامه الداخلي ومعناه المتجلّي في صلب العملية السردية.

* روائي جزائري

صناعة المصائر بلا شفقة

شهلا العجيلي *

ليس من الحكمة أن يقابل المرء نصوص دوستويفسكي في عمر مبكّر، في المرحلة الإعداديّة مثلاً، فهو حقاً لن يعرف قيمتها، وربّما ستضجره وتكون مدخلاً سيّئاً لعالم قراءة الروايات؛ إنّ الحركات السرديّة في نصوص دوستويفسكيّ بعاءة، والحوارات، ومحاكاة الأفعال البشريّة، وما يسمّيه إميرتو إيكو بـ «التهدئة»، وهي كثيرة جدّاً عند دوستويفسكي، لها مسوّغاتها المتعلّقة بالوعي التاريخي، في حين يبحث القارئ المبتدئ عن الحكاية، فهو، ومرّة أخرى كما يشير إيكو، يريد الدخول إلى الغابة ليخرج منها. والحكاية عند دوستويفسكي لا معنى لها من غير هذه المقاطعات التي يمكن للوعي التاريخيّ وحده أن يسوّغها. كما أنّ حكايته لا تسلّم نفسها بسهولة من غير معرفة التحوّلات التاريخيّة الكبرى التي بدأت بثورة 1848 في أوروبا، والتي عُرفت بربيع الأمم، ومعرفة العلاقة بالدين، والتشكّك، والقلق الوجوديّ، ستتحوّل بلا شكّ إلى حكاية مضجرة.

بالنسبة إليّ واجهت عالم دوستويفسكي في تلك المرحلة المبكّرة من قراءاتي، إذ حصلت على رواية «المقامر»، وأردت أن أدخل عالمه بسبب تحدّي الأقران، إذ كنّا في ذلك الوقت مجموعة من المعارف أو الأصدقاء الذين نحاول أن نثبت اختلافنا عن الآخرين بالقراءة. وحقيقة كانت قراءتها معاناة بالنسبة إليّ مع قراءتي المنفلوطي، وإحسان عبد القدّوس، ونجيب محفوظ في الثلاثيّة وخان الخليلي، قرأت فيها قليلاً، ثمّ رميتها، وسبّبت لي عقدة العجز، لأنّني لم أمسك كتاباً من قبل فأتركه قبل أن أتمّه! الولد المتحذلق الذي أعطاني إيّاها كان قارئاً فهلويّاً في ذلك الوقت، وكان لأسرة شيوعيّة، وأشعرني حقّاً بضآلتي! كانت قراءة الأدب الروسي في أيّامنا امتيازاً ثقافيّاً، الجميع ينصحك به، لأكتشف لاحقاً أنّ أحداً منهم لم يكمل رواية واحدة ممّا أشاروا إليه! أبعدتني تلك التجربة مع دوستويفسكي عن الأدب الروسي سنوات، إلى أن عدت إليه مع تولستوي، في المرحلة الثانويّة، ومع «أنّا كارنينا» تحديداً، وبالطبع كنت ما زلت أبحث عن الحكاية، وحكاية تولستوي جذّابة، إذ ينقلك بيسر من عالم القصور إلى أكواخ الأقنان، ولكن صار لديّ وعي تاريخيّ أوسع حينئذ، فالعيش في سوريا الثمانينيّات وبداية التسعينيّات، يمنحك قدراً من الوعي السياسيّ للتحوّلات الاقتصاديّة والطبقيّة التي تمكّنك من بعض التفسيرات الأخلاقيّة للشخصيّات والقياس عليها. تعرّفت بعدها إلى «معطف غوغول» التي شغلتني كثيراً، ثمّ تعلقت بقصص تشيخوف، إلى أن عدت إلى دوستويفسكي في دراستي الجامعيّة. إذ لا بدّ من دوستويفسكي لدراسة بيلنسكي وتشيرنيشفسكي ولوكاتش، أي لدراسة نظريّة الرواية بعامّة، فأفردت وقتاً طويلاً، ربّما أشهراً لدراسة تحليليّة دقيقة، لـ «الجريمة والعقاب»، و«الإخوة كارامازوف»، وأعمال روسية أخرى. عبر هذه الباب الواسع، دخلت إلى عالم مأساة إنسان دوستويفسكي، عالم مأساة الحنين إلى القيم القديمة لروسيا العظيمة، ثمّ آلام التحوّلات، والقصام الذي سينشأ عن العادة أو الراحة البورجوازيّة، وبين يقظة الضمير تجاه نبل مسعى الثورات، وكذلك بين انتقال العالم من حولك بين الإيمان الأرثوذوكسي المتجذّر وبين حداثة هبّطت السماء على رؤوس المؤمنين فكسّرتها. كان الناس من حولنا يظنّون أنّ كلّ كاتب روسيّ هو بالضرورة شيوعيّ أو تقدّميّ، أو يساريّ، ومؤدلج، ومتحذلق، يتسنّم المنبر الثقافيّ لاتحاد الفلاحين أو اتّحاد العمّال، ولا شكّ في أنّني وجدت في صدق دوستويفسكي عزاء كبيراً، وأنّ عداء كلّ من لينين وستالين له، رغم إعجاب الأخير به إعجاباً كبيراً، أعاد لي ثقتي بالأدب. قرأت «الجريمة والعقاب» ثلاث مرّات، كلّ منها لغاية، وتأثّرت بنوفيلا «الليالي البيضاء» جدّاً، ولا سيّما في صياغة المكان في رواياتي، فهذه الرواية الصغيرة لها مكانة في قلبي، ولي حلم بأن أقيم لفترة في سان بطرسبرغ، فأشهد ظاهرة لياليها البيضاء. قرأتها في الرقّة، وكنت أقول: لدينا نهر، ولديهم نهر، ولدينا جسور ولديهم جسور، فلماذا لا تكون لي رواية مثل هذه الرواية! كنت بالفعل أمشي نحو الفرات وأتخيّل الجسر ينفتح ويغلق مثل جسور سان بطرسبرغ على نهر نيفا! يجب على علاقات الحبّ أن تكون مرحة رغم كلّ شيء، وليس على الأقدار أن ترتّبها بالطريقة التي تسعد المتلقّي، بل بالطريقة التي ترضي الروائيّ. وفي هذا الإطار تعلّمت من دوستويفسكي أيضاً الحدّة والحسم في صناعة المصائر بلا شفقة. لكن لو سئلت عن أهمّ نصّ من نصوص دوستويفسكي بالنسبة إليّ، سأقول: «مذكّرات القبو». هي أيضاً رواية صغيرة تشاؤميّة، ومتذمّرة من عالم الحداثة والتحوّلات لإنسان القرن التاسع عشر، لكنّها تمتلك ديمومتها بسبب صدقها وعدم محاباتها لنظام الحكم، أو لإرادات القطيعيّة المزيّفة، ووقوفها ضدّ دعوى العالم المتحضّر. إنّها تشبه عالمنا، فنحن أيضاً نعيش في القبو، ونعاني من الادّعاء كما نعاني من الوعي، وما زلنا في القرن الحادي والعشرين نبحث عن إرادة مستقلّة ونعاني الأمرّين من أجلها! أمّا بالنسبة إلى الولد المتحذلق الذي تحدّاني برواية «المقامر» في الطفولة، فقد تعرّض لأحداث درامتيّة غريبة، وأخذ في حياته قرارات مرعبة، وروائيّة، وأشبَه مصيره، للأسف، بمصير راسكولينكوف إلاّ قليلاً!

* روائية وأكاديمية سورية

عفاريت دوستويفسكي

وجدي الأهدل *

في الجامعة كنت طالباً ملولاً، أترك المحاضرات وأذهب إلى المكتبة لقراءة أيّ كتاب يُلفتني عنوانه. في واحدة من تلك الزيارات، وقع بصري على كتاب مجلد، رواية «الجريمة والعقاب» لدوستويفسكي. بالطبع كنت قد سمعت عنه، ولكنني لم أكن قد قرأت له قط. من باب الفضول، قلت في نفسي لا ضرر من قراءة هذا الكاتب الشيوعي الملحد، الذي تبين لي لاحقاً أنه عكس ذلك تماماً. أخذتُ المجلد من الرف واقتحمت عالمه... طاولة القراءة مستطيلة بطول مترين تقريباً، ويقعد بجواري العديد من الطالبات والطلاب. وبعد ساعة تقريباً، عجزت عن متابعة القراءة، كانت أعصابي متوترة جداً وجسمي كله يرجف، خباثُ يديّ تحتّ الطاولة، ولكن واجهتني صعوبة في تقليب الصفحات... كنت أتنفس بصعوبة، كأن أحدهم يخنقني... ربما بسبب الصمت في المكتبة وهو إحساس خادع بالطبع؛ ظننت أن الأنظار مسلطة عليّ، وأن هذا الكاتب الروسي اللعين قد كشفني، وأن جلسة القراءة ستنتهي ولا ريب بتسليمي للشرطة، ومع «أنّا كارنينا» تحديداً، وبالطبع كنت ما زلت أبحث عن الحكاية، وحكاية تولستوي جذّابة، إذ ينقلك بيسر من عالم القصور إلى أكواخ الأقنان، ولكن صار لديّ وعي تاريخيّ أوسع حينئذ، فالعيش في سوريا الثمانينيّات وبداية التسعينيّات، يمنحك قدراً من الوعي السياسيّ للتحوّلات الاقتصاديّة اخترتُ في ذلك المجلد، وأنا لسوء الحظ قد أيقظته من نومه. استعرتُ نسخة أخرى من مكتبة «دار الكتب الوطنية»، وأتممتُ قراءة «الجريمة والعقاب» في غرفتي، كمذنب يخشى افتضاح أمره. وبالمناسبة هو الكاتب الوحيد الذي تمكن من خلخلة عالمي النفسي، وكاد أن يحطمه على رأسي بتلك الطريقة المرعبة.

رأيي كقارئ أن قراءة أعمال دوستويفسكي تحتاج إلى قوة أعصاب، فمن كان يعاني من ضعف عصبي، عليه تجنب قراءة رواياته. لقد لاحظت أن الفن الروائي بصفة عامة يسهم في علاج الجهاز العصبي ويساعد على خفض التوتر، ولكن دوستويفسكي يكاد يكون الاستثناء الوحيد. إنه يضغط بشدة على الجهاز العصبي ويرفع درجة توترنا. ولكن لأي هدف؟ يبدو أن لهذه الجراحة الأدبية أثراً طبياً إيجابياً، لا تستدل عليه إلا عن طريق الندبة التي يتركها مشرط الجراحة في أرواحنا.

بالنسبة إلى تأثير دوستويفسكي عليّ ككاتب، لا شك في أنه ترك بصماته في أسلوبي الكتابي، فهو أثر حميد يأمل أيّ كاتب في الدنيا أن يستزيد منه، ولكن هيهات، فهذا الجبار قد بلغ الذروة العليا في استشفاف الروح البشرية، وأيّ كاتب يقرر السير على خطاه، يُعرّض نفسه للانهيار العصبي مراراً وتكراراً إلى أن يتلف دماغه ويجنّ!

تقديري الشخصي أن دوستويفسكي امتلك قوة أعصاب تساوي ما يملكه الرجال والنساء في مدينة كاملة، وبدون هذه «الهبة» ما كان ليستطيع أن يتمم كتابة صفحة واحدة من أعماله الخالدة.

* روائي يمني

قارة الإنسان المجهولة

محمد أبو معتوق *

لأن روح دوستويفسكي وقلمه أبعد غوراً من الفلسفات وأقل حدة من تجهم الإيديولوجيات، فقد اختطّ لنفسه مساراً وسطاً، يقع بين الفلسفة والإيديولوجيا ليكون إلى جوارهما، من دون أن يتلوّث بإحداهما. لم يكن ساخراً ولا دعابياً في أدبه، ولكنه كان متأملاً حاراً، خلاف تجهم الثلوج والثياب السميكة التي تلفح بها الكائن الروسي. كان شديد الحرارة والتدفق، حادّ الارتياب والتأمل. هكذا اشتبكتْ قارئاً مع كائنات رواياته وأبطاله المضطربين، والمرضوضين بالزمان والمكان، والمتورطين بالوجود عبر آليات محكومة بسوء الفهم، وتجهم الشروط والزمان. ولعل بطل روايته «الجريمة والعقاب» مثال ساطع على هذا الطراز من الأداء، فقد اتخذ قراراً بالقتل بعدما وصل الى حافة الموت جوعاً واحتضاراً، ما جعله يبرر القتل، خصوصاً أنه يتعامل مع فئة من أرذل الناس، وهم فئة الصيارفة وتجار الرهونات، ليس بقصد التجارة وإنما بقصد الإمساك بالحياة وهي في لحظة انهيار. وكانت تلك المرأة العجوز واحدة من هؤلاء السفلة والأوغاد، بنظراتها المريبة، وشروطها القاسية كحد سيف الجلاد. عند هذا الحدّ، انتابت روح راسكولينكوف المكلومة، مشاعر تدعوه بعنف لارتكاب جريمته، لكنه لم يحصل على الخلاص، مستدعياً مشاعر الرغبة في إخضاع ذاته لأقصى عقاب، وإذا به يشيّد داخل نفسه جدران محكمته التي ستُنزل به القصاص. محكمة مجدولة من عصب القاتل والمقتول، من دون أن يلتمس الأعذار لنفسه، ذلك أن دوستويفسكي كان مولعاً بالمطلق. وفي روايته المذهلة «الأبله» حيث صاغ مسيحاً خاصاً، مسيحاً مكتظاً بالارتباك وبالأخطاء من دون خوارق وادعاءات. اليوم لن نتحسّر على استنزاف موهبته لمصلحة الصحف اليومية والأسبوعية لإيفاء ديونه، ففي هذا الاستنزاف كسبنا كقرّاء نهراً سردياً حافلاً بالعذوبة والحياة. نهر ألقينا فيه بذواتنا ورغباتنا وعناصر إبداعنا جميعاً وتبللنا بللاً عميقاً، لتخضر فينا شجرة الإبداع. لقد ألهم دوستويفسكي عصراً برمّته، كانت فيه أوروبا سيدة الأدب كله، ثم تحوّلت إلى سيدة المستعمرات بإشعالها الإيديولوجيات القومية، والطبقية، وهرطقات تفوّق العرق الأبيض. هكذا اقتحم دوستويفسكي قارة الإنسان المجهولة، ومحاولة فك مغاليقها العصية على الفهم والاحتواء، مبحراً بفحص توق الكائن وهواجسه في كل مكان، وتلك فتنة هذا الروائي المتفرّد، وكينونته الرسولية. أستعيد الآن السجالات التي رافقت روايته «الإخوة كارامازوف» وكيف أسرف النقّاد الأيديولوجيون وتعسّفوا في تأويل طبائع أبطالها والأحداث التي عصفت بهم، وحوّلوها إلى رواية إيديولوجية فانصرفت عن إكمالها. على الأرجح كنت متسرّعاً في الحكم عليها.

* روائي سوري

الله والإنسان ومشاغل أخرى

مصطفى شلش

ينقسم التطور الإبداعي عند دوستويفسكي وفق مقال مطول لنصرالله مامبرول نُشر عام 2019 بعنوان Analysis of Fyodor Dostoevski's Novels إلى مرحلتين: المرحلة الأولى، تعكس التأثيرات الأدبية المحلية والأجنبية التي سبقت سجنه، رغم أن بعض الموضوعات والابتكارات الأسلوبية التي أصبحت علامات دوستويفسكي التجارية كانت واضحة. كان المؤلف الشاب مفتوناً بكتّاب سانت بطرسبرغ المتأثرين بنيقولاي غوغول والناقمين على محيطهم المزري، الذي يعجّ بأفراد مهمشين وبائسين. هذه العناصر كثيرة في روايات دوستويفسكي، إلى درجة أنه وصف نفسه بأنه تلميذ غوغول. كما تتضح آثار أوبرا جاك أوفنباخ الشهيرة بعنوان «حكايات هوفمان» التي جذبت دوستويفسكي الشاب إلى الميلودراما القوطية والرومانسية. وما يميز دوستويفسكي عن تلك المؤثرات، نبرته الكرنفالية في وصف أو ترديد عذاب أعضاء الطبقات الدنيا. بينما سعى كتاب آخرون إلى إثارة تعاطف الرأي العام مع الفقراء، ضخّ دوستويفسكي عنصر السخرية في صوره، ما قلّل من الفعّالية الاجتماعية لهذا النوع مع تعزيز تعقيد التعبير الأدبي.

في رواياته اللاحقة، ما بعد سجنه، هذا التوازن الدقيق بين التعاطف وازدراء المضطهدين. يكمل معرضه الذي يضم غريبي الأطوار الذين تعرضوا لسوء المعاملة، برجال خارقين أقوياء، وغامضين ومحايدين أخلاقياً... أشخاص منعزلون أذكياء تسمح فلسفاتهم بالتضحية بالنفس والقتل في آن. الأنواع المفضلة الأخرى هي الإناث المتحمّسات، والعاهرات الملائكة، اللواتي يمزجن بفضول التعصب الديني مع الخشونة. وهذه التعددية هي السمة الغالبة في أسلوب دوستويفسكي. من المستحيل غالباً أن نميز في أعماله وجهة نظر تأليفية. باستخدام منهج متعدد الأصوات، يمتلك دوستويفسكي شخصيات تجادل مفاهيم متعارضة تماماً بشكل مقنع وبطريقة جذابة فكرياً، بحيث يُمنع القراء من تكوين أحكام مبسطة. ينبهر معظم القراء، بالجودة البوليسية لكتابات دوستويفسكي. على السطح، تبدو روايات دوستويفسكي كأنّها روايات مثيرة، تعرض الحيل النموذجية لهذا النوع، مع جرعات سخية من التشويق، والنشاط الإجرامي، والاعتراف، والإيقاع من قبل الشرطة أو المحققين. لكنّ عرض الأعمال من هذه الزاوية وحدها لن تُنتج عنه قراءة مرضية. إلا أنها تسهّل الطريق إلى النص الفرعي المعقّد نفسياً، كالصراعات والمآزق الميتافيزيقية والمناقشات العاطفية حول الخير والشر، الكنيسة والدولة، روسيا وأوروبا الغربية، والإرادة الحرة والحتمية. ثنائية ملازمة في أغلب أعمال دوستويفسكي، هي «الله-الإنسان» و«الإنسان-الله». يشير نيكولاي بردائيف (1874- 1948) في كتابه «رؤية دوستويفسكي إلى العالم»، إلى ظهور دوستويفسكي في الوقت الذي كانت فيه الأزمنة الحديثة تقترب من نهايتها، وكان فجر عصر جديد من التاريخ. من المرجّح أن وعيه بالانقسام الداخلي للطبيعة البشرية وحركتها نحو الأعماق النهائية للوجود، كان وثيق الصلة بهذا. أعطي له ليكشف عن الصراع في الإنسان بين «الله-الإنسان» و«الإنسان-الله»، بين المسيح والمسيح الدجال، وهو صراع غير معروف في العصور السابقة عندما كان يُرى الشر في أبسط أشكاله فقط. من المؤكد أن الروح المسيحية في الماضي عرفت الخطيئة وتركت نفسها تقع تحت سيطرة الشيطان، لكنها لم تكن تعرف هذا الصدع في الشخصية الذي يزعج الناس الذين درسهم دوستويفسكي.

في الماضي، كان الشر أكثر وضوحاً، وسيصعب شفاء روح معاصرة من مرضها من خلال علاجات الأمس وحدها. لقد فهم دوستويفسكي ذلك. كان يعرف كل ما كان على نيتشه أن يعرفه، لكن مع إضافة شيء الشيء الذي عرفه دوستويفسكي ونيتشه أنّ الإنسان حر بشكل رهيب، وأن الحرية مأساوية وعبء ثقيل عليه. لقد رأى دوستويفسكي طرقاً أمام البشرية، واحد يؤدي إلى «الله-الإنسان» يسوع المسيح، وآخر إلى تأليه الذات، «الإنسان-الله». وجد دوستويفسكي أن الطريق إلى المسيح يقود إلى حرية لا حدود لها، لكنه أظهر أنه تكمن فيها أيضاً إغراءات كآبة ضد المسيح وإغراء صنع الإنسان الإله. صحيح أم لا. لقد قال دوستويفسكي شيئاً جديداً عن الإنسان، يقول بردائيف. لم يكن عمل دوستويفسكي مجرد أزمة في الإنسانية، بل هزيمة لها. وفي هذا يجب أن يوضع اسمه بين قوسين مع نيتشه كما يشير بردائيف في مقالة بعنوان «دوستويفسكي أم نيتشه؟». فكلاهما جعلا من المستحيل العودة إلى الإنسانية العقلانية القديمة بتأكيدها الذاتي وكفايتها. لأنه يتضح أن الطريق، سواء للمسيح أو ضد المسيح، يكمن أبعد من ذلك، وأن الإنسان لا يمكن أن يبقى مجرد إنسان. لذا في رواية دوستويفسكي «الشياطين»، ظهرت شخصية كيريلوف الذي أراد أن يكون الله، كما أراد نيتشه التغلّب على الإنسان باعتباره عاراً وخزياً، واتجه نحو الرجل الخارق. هكذا نجد أن النهاية الأخيرة للعبادة الإنسانية للإنسان هي تدميره عن طريق الإيمان بالرجل الخارق. يمكن القول إذن إنّ الإنسانية الأوروبية وجدت مصطلحها في نيتشه. كان هناك فرق كبير بينه وبين دوستويفسكي الذي كان قد أظهر قبله أن فقدان الإنسان عن طريق تأليه الذات، كان الهدف الحتمي للإنسانية. أدرك دوستويفسكي أن هذا التأليه خادع، واستكشف تقلبات الإرادة الذاتية في كل اتجاه، وكان لديه مصدر آخر للمعرفة. لقد رأى نور المسيح. كان نبياً للروح. نيتشه، على العكس، هيمنت عليه فكرته عن الرجل الخارق وقتلت فكرة الرجل الحقيقي فيه. في نظر بردائيف، فمسيحية دوستويفسكي فقط هي التي حافظت على فكرة الجنس البشري وحمايتها، وثبّتت صورة الإنسان إلى الأبد. يفترض بردائيف أن روايات دوستويفسكي تعبّر عن جوهر الإنسان، الجوهر الإلهي؛ وأن صرخة «اقتل الله»، هي في الوقت نفسه تقتل الإنسان. وعلى قدر هاتين الفكرتين الساميتين عن الله والإنسان، هناك صورة وحشية... صورة الرجل الذي يريد أن يكون الله. بالنسبة إلى نيتشه، لم يكن هناك إله ولا إنسان ولكن فقط هذا الإله البشري المجهول. بالنسبة إلى دوستويفسكي، كان هناك كُل من الله والإنسان. الإله الذي لا يلتهم الإنسان، والرجل الذي لم يتحلل في الله، ولكنه يظلّ نفسه طوال الأبدية. هناك يظهر دوستويفسكي على أنه مسيحي بالمعنى العميق للكلمة. في عيون بردائيف، نجد عالم دوستويفسكي يتمحور حول العبارة اللافتة أنّ "الجمال سينقذ العالم". في نظر دوستويفسكي، الجمال هو التعبير الأسمى عن الكمال الوجودي: الإلهي، ولكنه أيضاً مضاد للمنطق، ومنقسم، ومتحمّس، ومرعب: إنه لا يتمتع بالهدوء، الإلهي للمثل الأعلى الأفلاطوني، ولكنه غاضب ومُتغير وملي، بالصراع المأساوي. لم يظهر الجمال له في الترتيب الكوني على المستوى الإلهي، بل من خلال الإنسان. لذا فهو يشترك في الاضطراب الأبدي للبشرية ويتوقف بردائيف عند كلمات ميتيا (دمتري) كارامازوف في «الإخوة كارامازوف»: «الجمال شيء، فظيع ومخيف. إنه أمر مروع لأنه لم يتم إدراكه ولا يمكن سبر غوره. لأن الله لا يصنع شيئاً سوى الألغاز. وفي هذا، يلتقي المتطرفان ويتعاكس المتضادان معاً... الجمال! لا أستطيع أن أتحمل التفكير في أن الرجل الذي يتمتع بعقل سليم وقلب نبيل يبدأ بمثل سيدتنا، وينتهي بمثل سدوم. والأكثر إثارة للرعب هو أن الرجل الذي يحمل مثال سدوم في روحه لا يتخلى عن مثال السيدة العذراء؛ إنها تتوهج في قلبه، بصدق تماماً، تماماً كما فعلت عندما كنت صغيراً وبريئاً». ومرة أخرى: «الجمال غامض وكذلك رهيب. الله والشيطان يتقاتلان هناك، وساحة المعركة هي قلب الإنسان». أظهر دوستويفسكي أن النور في ظلامنا هو المسيح، وأن الشخص الأكثر هجراً (الحاداً) لا يزال يحتفظ بصورة الله ومثاله، وأنه يجب علينا أن نحب مثل هذا الإنسان ونحترم حريته. ويأخذنا دوستويفسكي إلى أماكن مظلمة للغاية، لكنه لا يترك الكلمة الأخيرة للظلام؛ كتبه لا تترك لنا انطباعاً بالتشاؤم الكئيب واليأس. لأنه مع الظلام يخرج نور عظيم ينتصر المسيح على العالم ويشعّ الجميع كما يشير بردائيف. كانت مسيحية دوستويفسكي حاملة للضوء، مسيحية القديس يوحنا، وأسهم في الدين الذي سيأتي، دين الحرية والمحبة، النصر النهائي لإنجيل المسيح الأبدي.

نصان

المقهى فرع طويل من شجرة مطاطيّة ضخمة

رانجيت داس *

ترجمة **مهدي النفري**

1. كوكب الحيوان

أنا سيّد هذا الكون، المرح والسّرور هما الشّيئان الوحيدان المهمّان عندي، بالإضافة إلى أنّه لا توجد حقيقة أو لغز آخر، داخل هذا الخلق عندما يفكر الإنسان الحديث بهذه الطريقة يتحول إلى خنفساء. خنفساء سوداء قوية البنية في حوض الأمازون. يتجول بين أغصان أشجار المطّاط بتبجّح وغرور. يجلس في مقهى في ريو دي جانيرو مرتدياً نظارة وتعابيرَ خطيرةً على وجهه، منغمساً في الخطاب الفكري حول المسك وميشيل فوكو. في الحقيقة، إن المقهى ليس سوى فرع طويل من شجرة مطاطية ضخمة، يتدفّق تحتها نهر الأمازون. وفي مياه ذلك النهر وسط الغابات المطيرة الكثيفة تسبح سمكة «قرد الماء». السمكة لها لحيتان طويلتان للغاية على ذقنها، فجأة تقفز سمكة القرد المائي من الماء إلى ارتفاع ست أقدام في الهواء، تلتهم الخنفساء بدقة في فمها وتختفي في مياه الأمازون.

2. الشّاعر والحانة

في إحدى الحانات ليلاً، تقابل شاعراً يمكنه قراءة قصائده عن ظهر قلب. أنت تحتقر القصائد لأنها غامضة مثل ابتسامة قطة وفاترة مثل عيني الغراب. إنك تحتقر الشعراء أكثر لأنهم ليسوا بشراً ولا وحوشاً لكنهم شياطين بحجم نصف ليتر، ولا حدود لطموحهم وادّعاءاتهم. يمكن لكلّ واحد منهم أن يقرأ قصائده عن ظهر قلب مثل المتسوّل، الروبوت. ومع ذلك في حانات الليل لا يمكنك التفكير في تناول بعض المشروبات من دون وجود شاعر واحد على الأقلّ مهووس بذاته على طاولتك. ما يحدث في كلّ مرة في مثل هذه الحالة يحدث اليوم أيضاً. في البداية، تكوّن صداقة حميمة كبيرة مع الشاعر، لتلتقط معه شجاراً سيئاً لاحقاً، بعد مناقشات ساخنة حول اللاهوت البوذي والوجودية. إنك تشنّ هجوماً شرساً على الشّعراء قائلاً إنهم مهرّبون غير شرعيين للحزن والخطيئة في الفن، وإنهم يعيشون فقط على حبّ الذات، وإن الشّعراء ليسوا سوى واقيات ذكوريّة ملوّنة وزجاجات خمور مكسورة حول فندق سياحيّ. الشّاعر لا ينطق بكلمة واحدة ردّاً على انتهاكاتك ويجلس بوجه حزين، تماماً كما يجلس الدّرويش بصمت أمام ضابط شرطة. تشعر أنك في حالة جيدة وتغمض عينيك بشكل واضح. وعندما تنظر مرة أخرى، يختفي الشاعر. ترى كرسيّه الفارغ وكأسه الفارغة يحدقان فيك، مثل كلمتين فارغتين لقصيدة فاشلة.

(*) ولد رانجيت داس عام 1949 في مدينة سيلشار في ولاية آسام الهندية، وانتقل لاحقاً إلى كلكتا حيث عمل في الخدمة المدنية غربَ البنغال، تقاعد منها طواعية في عام 2006. وهو عاشق للرسم والسينما وكرة القدم حيث يعيش هناك مع زوجته وابنه. كتب داس باللغة البنغالية وصدرت له أعمال عدة، منها: «مختارات من الشعر البنغلاديشي»، وكتاب «كابوس صيفي وقصائد أخرى» . حصل على العديد من الجوائز، سافر على نطاق واسع، وقرأ أعماله في مختلف المنابر الوطنية والدولية وتُرجمت أعماله إلى العديد من اللغات.

إلياكومبوف ــ «بورتريه روسي للهند» (زيت على قماش، 2016)

قصائد

حياة قابلة للطي

محمود خير الله *

1. بعد أن أموت

لا أريدُ
بعد أن أموتَ
أن أتحوّل إلى «مانيكانِ عجوز»
يقفُ وحيداً وراء الزجاجِ
كشبح محشوّ بالقطن
خرج لتوّه من الخدمة،
ليُمثّل دوره الأخير
في ذلك الفراغ الملوّن
الذي تملأه البالونات.

لا أريدُ
بعد أن أموتَ
أن أصبحَ «ساعةَ حائط»،
تنامُ في مكانِها غُمْراً كاملاً
من أجل أن تُحصي النّدم،
مع كل تكّة تمرّ من العُمر،
لدرجةِ أنها
قد ترى اللصوصَ يدخلون خائفين،
ولا تستطيع
. حتّى.
أن تهشّهم.

لا أريدُ أن أكونَ
نافذةً واسعةً
وسط المقابر،
حين أشرب أرتوي من دموعِ
الحزّانى
وحين أجوع
لا آكل إلا من خُبز «الأرواح».

إن كان ولا بد
أن أكونَ شيئاً
بعد أن أموت،
أتمنى أن أصبحَ عصفوراً نيلياً
صغيراً،
يبني بيتاً هشّاً
فوق الشجرة العتيقة،
التي تُلقي برأسِها في النهر،
لأرى
. حتى وأنا أموت.
آخر قطرةِ ماء
أرسلتها العنايةُ الإلهية
وهي تذوبُ
عائدةً
إلى أمّها الأرض.

2. كبيتٍ تحنّ إليه الذّكريات

أعتقد أنك شاهدتَه،
يُحلق مُرتجفاً بين البيوت
رفرف بالقربِ من رأسك،
ذات مرة
وغنّى. كعادتهِ. بصوتٍ رفيع.

أنا صادفتُه اليوم،
كنتُ في الطريقِ وحْدي
ذاهباً. كالعادة. إلى المعركة،
فتوقفتُ لأنظرَ إليه،
كان يزأر منتفضاً
معلقاً قشّة من شجرِ الخريف،
بين فكّيه
بينما يطيرُ بإصرارٍ بين البيوت.

صدّقني،
هذه القشّة،
التي كان يُنتظر منها أن تصيرَ بيتاً،
وأن تمنح الدفء ذات يومٍ
للصّغار،
هذه القشّة
الخارجة من قلبِ هذا العصفور،
. لا من فمه .
غادرتْ مستقبلها فجأةً
وسَقطتْ في يدي،
صارت بيتاً بعيداً،
تحنّ إليه الذكريات.

3. الموتُ كما في شريطٍ سينمائيّ تالف

كُل مرة
يمرّ فيها الموتُ
بالقربِ منّي
. هذه الأيام .
لم أعُد أشعر بالخوف،
لقد فَقَد الموتُ جلاله
وأصبح مُضحكاً في بعضِ الأحيان،
تفتحُ النافذةَ صباحاً
لتشمّ رائحةَ العالم،
فيندلقُ الموتُ كله
فجأةً
في وجهك.

تفتحُ النافذةَ
فتجدُ صلاةَ الجنازةِ مُقامَة
. تقريباً . في حديقةِ المنزل،
وترى العصافير على الأشجار
خاشعةً تماماً كأنّها تُصلي،
و«النعش»،
«النعشُ» يا رجل كان منفوخاً
كمراةٍ يضاجعُها موتٌ نحيف،
والمصلون كانوا متعجلين جداً،
لدرجةِ أنّهم
كانوا يُحركون أكفّهم المفتوحة
إلى آذانِهم كأشباحٍ مُشوَّهةٍ،
تُصلّي بسرعة
كما . لو كانت . في شريطٍ سينمائيّ
تالف.

حين انتهوا
انطلقوا بالسيارات
ومعهم نعشُهم
بينما الموتُ
كان يُمكنك أن تلمَحَه
تحت الغطاء
رافعاً كتفيه لأعلى
كرجلٍ باتَ في قمّة اليأس.

4. باتجاه المغيب

قائداً سيارةً
كنتُ أحلم،
كنتُ أعبر الشوارع والأشجارَ
بسرعة
كأنني أطير،
كنتُ أمسِك بيديَّ بعضَ النجوم
وألقي بها إلى العابرين.

قائداً سيارةً،
كنت أعبرُ الأنهار سعيداً
. بملابسي كاملةً .
في كل مرة أرتكبُ فيها
حادثاً مروريا مروّعاً.

كنتُ أقودها إلى مدنٍ بعيدة،
أبعد من كل الظنون،
حاربتُ بها أعداء،
وانتصرتُ عليهم
في نهايةِ المطاف.

سعيداً كنتُ أقود سيارتي
كل يوم،
باتجاه المغيب،
ماداً قدميَّ فوق سجادةِ البيت
. التي جمّعتها أمي من بقايانا
وملابسنا .
مديراً بين يديَّ
غطاءً نحاسياً نظيفاً
لأكبر «حَلّة»
في مَطبخِ أمي.

* القاهرة/مصر

ميلان كونش ــ ملاك الموت (أكريليك على كانفاس ــ 200 × 160 سنتم ــ 1980)

قصة قصيرة

قومي، يا مريم (*)

رباب هلال **

«قومي، يا مريم!»

ينادي أبو سعيد، الثمانينيّ، زوجته، وقد تمدّدت على «الصوفا» بلا غطاء. الطقس شديد البرودة. والشمس تنزلق إلى مغيبها، ولا تزال تتحايل على الغيوم الباردة، تبرقع النافذة بالنور والظلال. تضطجع مريم قبالته، منذ بعض الوقت. لم يعُفْ لها جفنٌ. يعرف، هي مغمضة العينين، لكنّ بؤبؤيهما لم يستكينا.

المدفأة في وسط الغرفة، امتدّ تحتها بساط قديم، لا يكاد يغطّي بلاط الغرفة الوحيدة. «لو أنّها تمطر!» يقول أبو سعيد مخاطباً زوجته. تفتح عينيها، على مهل، كأنّما تغالب النعاس. تنظر نحوه، يناديها رافعاً صوته«قومي، يا مريم!» لكنّها تظلّ على صمتها، تنظر في نقطة محدّدة؛ في الدنتيلّا المهترئة الغالتة من شرشف السرير. من الذي يدري بم تفكّر؟! لطالما يتساءل زوجها إن كانت المسكينة تفكّر، أصلاً!

«لو أنّها تمطر!» يقول لها. ثمّ يردف وهو يمدّ عكّازه إلى المدفأة، يضربها: «لانكسرت حدّة هذا البرد اللعين». يضرب. ويقول: «والله، وهي مطفأة تزيد من قسوة البرد!» يفكّر بحفيده وسام. «أين هو، الآن؟ تأخّر! لو أنّه هنا لقلب الأرض ليجدَ ولو ليتراً واحداً من المازوت! يا ليته الآن هنا، معنا، حتّى لو لم يفعل شيئاً! وهذه الحكومة المجرمة، ابنة الكلب! أولاد الحراميّة، لم يتركوا شيئاً إلّا وسرقوه!» يصرخ بسخط وقهر، وهو يضرب المدفأة. ثمّ يهدأ. يضربها سيطيّرها من أرضها، وستملأ الدنيا سخاماً أسود! تنحّى العكّاز جانباً، مسح دمعتين، وهو يقول: «قومي، يا مريم!» يخرج صوته متهدّجاً، يرتعش باللّامعنى، باللّاهدف.

تعب، ولم تقم مريم. «مريم ستمرضين! تنامين بلا غطاء! قومي!» ثمّ ينظر في ساعته، ينتظر عودة الكهرباء. انقطعت منذ الصباح. عسى أن تأتي لأشغل المدفأة الكهربائية. رغم صغرها، تدفئ الغرفة كلّها، فيما لو أغلق الباب الوحيد الذي يفضي إلى المطبخ الصغير والحمّام. هو ليس حمّاماً بالضبط، إنّما مرحاض صغير، وُضع فيه خلّاط دوش للاستحمام. هذا ما أمكنهم استئجاره! الغرفة صغيرة، تقشّر دهان جدرانها في بعض المطارح. تنثّ رائحة خزن قديم ورطوبة. لا تدخلها الشمس إلّا في أوقات قليلة، بعد الظهر، عبر نافذتها الوحيدة، المطلّة على الحارة. لا تكاد الغرفة تتسع لسرير وصوفا، ينام عليها وسام، وثلاث كراسٍ بلاستيكيّة وُضع بعضها فوق بعض، وأخرى قرب السرير. طاولة صغيرة، ثمّ خزانة قديمة تتسع لبعض الملابس وأوراق تخصّه، وأخرى تخصّ وسام. كان بيته في القرية رحباً بغرفه العديدة المشمسة، بحمّامه، بشرفاته، وبستانه الكبير!

تنهمر دموعه وهو ينظر إلى صورة العائلة الصغيرة المعلّقة، حملها وسام من البيت، قبل خروجهم الرهيب. في الصورة، هو وزوجته وابنه سعيد طفلاً. لم ينجبا غيره. حكمة الله، وما قدّر! عبارة كان يردّدها لسائليه وبعض المستنكرين عدم زواجه من امرأة ثانية للإنجاب، على مدى أربعين عاماً: وحكمة الله، اقتضت، أيضاً، بأن يسترجع أمانته! مات سعيد في حادث سير، في الأربعين من عمره، مخلّفاً لهما ابنة ووسام. تركته أمّه، تزوّجت وسافرت إلى بلاد الغربة. لعنها الله، في الدنيا والآخرة! كما يردّد. ولن يغفر لها. فاقت دناءتها حنانها لابنها! لا، لن يغفر لها، أبداً!

كان أهل قريته جميعهم يعرفون قصّته، ويتعاطفون معه. كان ذلك قبل الحرب والنزوح. في القرية، لا تغيب الرحمة من صدور الناس. أمّا هنا في هذه المدينة، فالرحمة قلّما تحضر في النفوس، وكلّ يقول: «اللهمّ اسألك نفسي» لطالما يكرّر حديثه هذا لنفسه، لمريم، ولزائريه القليلين. ويضيف: «لو أن قلوبهم تعرف الرحمة، لرحموا أولاد بلدهم النازحين من غلاء الإيجار الحارق. تفوووه عليهم!»

ولكن، وللحقّ، فليكفّر الله خير جارتيهما، الآنسة نجاة التي تطلّ عليهما بحنان الإبنة، والأخرى سامية، فهذه رغم أنّها تعتني بأمّها العاجزة، لا تنساهما. حتّى إنّهما أعطياها نسخة من مفتاح البيت، فلا أحد يدري ما قد يحدث، في غياب وسام. يرضيه أن يذكر ذلك لبعض زائريه، كي لا يبدو مجحفاً بحقّ الحارة، وناكراً للجميل.

يتململ في سريره يحاول النهوض! منذ فترة، بدأ العجز يضعفه! ساقاه لا تكادان تحملانه!

«أين أنت، يا وسام؟ تأخّرت يا جدّو. خيراً، إن شاء الله!»

«مريم! يصعب عليّ النهوض، بالله عليك قومي!» يقول لها يتوسّل.

ويتابع: «غابت الشمس، عليك تناول الدواء، هو هنا، تعالي!» يمسك بكيس الأدوية، يريها إيّاه. صامتة، تحدّق في عينيه. عيناها لا تقولان شيئاً البتّة! فراغ يحدّق في الفراغ! «هنيئاً لك غياب عقلك! واخ، ما أنحسني!» يخرج صوته حاداً بخفوت يائس كأنّما يخرج من قعر بئر، صوتٌ غريق يعرف أن لا أحد يمرّ بهذه البئر! «أي والله أنا منحوس! أين هو؟ أين ضاع يا تُرى؟» منذ الصباح، كان يبحث عن فكّه الاصطناعي، يتذكّر أنّه ليلة أمس، نزعه من فمه، قبل أن ينام، وعلى حدّ علمه وضعه على الطاولة قرب السرير. لم يتذكّره قبل خروج وسام هذا الصباح، لكن بحث عنه إلى أن وجده له. «أين يكون يا تُرى؟ كان الغطور والغداء بلا طعم، ولم أشعر بالشبع. فأين يكون؟ آخ، يا مريم لو تقومين!»

يُنزل رجله اليمنى عن السرير. صوت انفجار غير بعيد! «قذيفة أخرى! يا ربّ، الطف بعبادك!» لم تكترث مريم في جمودها.

يهدأ، ينصت بترقّب إلى ما يحدث في الجوار، فقد يتبيّن مرمى القذيفة. صوت مسجّل السوزوكي ينادي لبيع البرتقال. يتبعه صوت مسجل سيارة بيع مياه للشرب. أغانٍ تصدح من مكان ما. صوت درّاجة دبّب النارية الجديدة يعلو ثانية، يتباهى بها. «القذيفة ليست قريبة»، يحار إن كان عليه أن يحمد الله! يفكّر بضحاياها المحتملين، حيث سقطت. «الفرج يا ألله!» يصرخ.

يُنزل قدمه اليسرى، تلامس الأرض. ولا تزال درّاجة دبّب في أرضها، تمزّق الآذان بصوتها. يصرعهم بها ليلَ نهارَ. دبّب اللعين، لو تأخذه قذيفة! كلّما ذكر أبو سعيد دبّب، ينتابه شعور بوجوب شتمه والدعوة عليه، سرّاً وجهاراً! وذلك، منذ أن سمع في الحارة حكاية قتله لأخته الطفلة ندى. «لصون الشرف، قال! والعياذ بالله، ويا ويله من عذابه، عديم الشرف!» يمسك بالعكّاز، يستند عليه. «مريم، قومي، أنا تعبان ومريض!» يحاول أن يسوّي جلسته، ينجح أخيراً. يظلّ ممسكاً بالعكاز بيمناه، وبإليسرى الصوفيّة. تحاول أن تعقده. «ما الذي تفعلينه؟ أهذا وقته الآن؟ دعيه، واجلسي!» قال بصوت فيه بعض نزق.«أكاد أسقط، اقعدي! ساعقد لك الخيط. اقعدي!» تنصاع مريم بهدوء، وتجلس. يسوّي الكرسيّ ويقعد. زجاجة الماء على الطاولة قربه. يصبّ الماء في كأس، يناولها إيّاها. يعطيها الدواء. ينظر في بقايا وجبة الغداء. وضعها وسام لهما، قبل خروجه. بعض صحون يبس الطعام على أطرافها. يغطّيها بمحارم ورقيّة. «حين يعود الغالي، سنتعشّى معاً! هه، سأعقد لك الخيط الفالت». يعقده. تمدّ يدها تحاول عقده. «ألم تري أنّه معقود؟ توّاً، عقدته؟»

يمسك بكفّيها، يمعن النظر في عينيها. تدمع عيناه. يقول متوسّلاً: «مشتاق لصوتك، يا مريوما! مشتاق لأحاديثنا، وحتّى لشجاراتنا. احكي. ساعديني على هذه المصائب. لا تتركيني وحدي، أحتاج إليك، سُلّيني» تنظر في عينيه والفراغ. يمسح دموعه. «والآن، هل بإمكانك، يا حلوة، أن تتمدّدي في الفراش». يقول وهو يصطنع ضحكة خرجت مثل طرطقة. تحدّق مريم في السقف. «ساعديني! الله يرضى عليك!» يمدّ ذراعيه ويحاول أن يمدّدها. تستجيب، وتتمدّد. توسّع له المجال كي يصعد إلى السرير. «ما أحلاك، يا مريوما! أنت لم تتغيّري أبداً، يا طيّبة، يا محترمة، يا أدميّة!»

يمعن النظر في وجهها، في عينيها التائهتين، في التجاعيد، وشعرها الخفيف الأشعث الشائب، الوهن، الهزال والالزهايمر! في البداية، شخّص أحد الأطبّاء الحالة على أنّها اكتئاب، وقرّر آخر أنّه الباركنسون، ليستقرّ أحدهم أخيراً على الألزهايمر. وذلك، بعد انقضاء أكثر من عام على إصابتها بالمرض!

غياب الذاكرة، الغوص في الداخل والصمت، والانقطاع عن العالم والحياة. المسكينة تناولت ما يملأ شوالاً كبيراً من الأدوية الخطأ! «كادت تهلك، يا شحّارها، ونهلك معها». حدث هذا فور نزوحهم من القرية، وقد نكبتها الحرب، ودمّرت فيها البشر والشجر والحجر! الحرب علّتُه هو الآخر، وتكاد تعجزه. اليوم، يشعر بأنّه متخشّب. غداً سيكون أفضل. يجب أن يكون أفضل! كان يُفترض أن يكبرا ويشيخا هناك، في بيتهما، أن يموتا في سريرهما، ويُدفنا في مقبرة القرية، إلى جانب قبر سعيد، وبين قبور العائلة. «يا لهذه الخاتمة الوخيمة! ومن يعرف متى سنعود! آآآآخخخخ، يا مريم، من يعرف إن كان كُتب لنا عمرٌ لنرجع؟» يأخذ الفكّ عن الطاولة، يمسحه بمحرمة ورقيّة، ثمّ يضعه في كأس فارغة ويغمره بالماء. يبتسم. «خليك هنا، لن تضيع ثانية!» تغرب الشمس، تاركة في الغرفة، برداً شرساً، وظلالاً تتعمّم، رويداً رويداً. بعد جهد، يتمكّن أبو سعيد من التمدّد في السرير. يمسك بطرفي اللحاف والبطانيّة، يشدهما لتغطية جسديهما. جسد زوجته بارد بشدّة. يخلع طاقيّته الصوفيّة، ويلبسها رأسها. يلتصق بها، يدسّ ذراعاً تحت رقبتها، وبالأخرى يحتضنها، وهو يقول: «أنت بردانة. سأدفئك. نامي، يا حبيبتي، نامي! لن أشعل شمعة. سيعود وسام، بعد قليل. أنت بردانة». ثمّ يدخل في الصمت. يحدّق في النافذة الصغيرة. بينما العتمة تسوّدُ الزجاج، وتشحّر القلب بالرعب اليومي، بانتظار عودة وسام سالماً! «اليوم، تأخّرت كثيراً، يا ولدي؟»

(*) قصة من مجموعة بالعنوان نفسه. صدرت حديثاً عن «دار التكوين»، دمشق.

(**) دمشق

أحمد أبو زينة ــ الوان تنتصر للحياة (مواد مختلفة على قماش، 2018).

اجتماع

زينب التوجاني: تونس أمام انتكاسة مشروع التحديث

أنيس الشعبوني

كتاب جديد صدر في تونس («دار محمد علي الحامي» بالتعاون مع «مكتب التعاون الأكاديمي لمؤسسة روزا لكسمبورغ») بعنوان «الحريات الفردية والمساواة بتونس بين التنوير والتكفير».

الكتاب الجماعي الذي أشرفت عليه زينب التوجاني (أستاذة الحضارة في «كلية الآداب والفنون والإنسانيات» في منوبة) يرصد الجدل الذي عاشته تونس وما زال متواصلاً في الفضاء الافتراضي والمنابر السياسية والفكرية حول مبادرة الرئيس الراحل الباجي قائد السبسي (1926 ـ 2019) للمساواة في الإرث. مبادرة فشلت بسبب الإسلاميين وحلفائهم في مجلس النواب، فقد أراد الباجي قائد السبسي (تولى حقائب وزارية عدة منذ استقلال البلاد عام 1956) أن يواصل مشروع الزعيم الحبيب بورقيبة الملقّب بمحرّر المرأة بعد إصداره مجلة الأحوال الشخصية (13آب/ أغسطس 1956) التي كانت سابقة في العالمين العربي والإسلامي. إذ منعت تزويج الفتاة قبل سن 18وبدون رضاها، ومنعت تعدد الزوجات، وفرضت تعليمها. هذا ما حوّل تونس إلى نموذج في حرية المرأة. وقد أراد قائد السبسي تعزيز هذه المكاسب بفرض المساواة، لكن مبادرته اصطدمت حتى برفض بعض الأحزاب والشخصيات المحسوبة على التيار الحداثي!

هذا الكتاب يرصد الجدل الذي أثارته المبادرة من جوانبها القانونية والاجتماعية والدينية من خلال مساهمات مجموعة كبيرة من الباحثين في الحضارة والتاريخ والعلوم السياسية والقانونية. تقول زينب التوجاني إنّ الجدل حول المساواة والحريات كان سابقاً في تونس لمبادرة الباجي قائد السبسي، لكنه كان جدلاً مقتصراً على النخب والباحثين «ثم صار بفضل تلك المبادرة الرسمية مجالاً للحوار والصراع والاختلاف في الفضاءات التونسية المتنوّعة؛ وفي المواقع الافتراضية وفي المجالات السياسية والفكرية والإبداعية».

ووفق التوجاني، فإن هذا العمل يهدف «إلى تحليل عوائق الانتقال السياسي والاجتماعي من بنية التمييز وعدم المساواة، إلى بنية تقوم على قيم العدالة والمساواة والمواطنة وفهم عدم مرور مبادرة المساواة للتصويت وأسباب صعود تيار شعبوي إلى مجلس النواب حال دون إتمام المشروع التحديثي».

وكان تقرير «لجنة الحريات الفردية والمساواة» التي شكّلها الباجي قائد السبسي في عام 2017، أثار ردود فعل متباينة في الشارع والوسط الأكاديمي والثقافي وصلت إلى حد تكفير أعضاء اللجنة في عام 2018.

الكتاب الجماعي هو نتاج مؤتمر فكري نظّمه «المعهد العالي للإنسانيات التطبيقية» في قفصة (جنوب غرب) يندرج صدوره في سياق محدد، إذ «تزايد العنف تجاه المرأة بسبب الحجر الصحي كما انتكست القوى الحداثية في المشهد السياسي بصعود قوى شعبوية معادية للمرأة كما عبّر الرئيس قيس سعيد في 13 آب (أغسطس) الماضي (ذكرى صدور مجلة الأحوال الشخصية) عن موقف رافض لمبادرة الحرية والمساواة. لذلك كان إصدار هذا الكتاب محاولة لتدوين هذا الجدل الذي ما زال متواصلاً وقف التوجاني.

اختلفت زوايا تناول الجدل حول المساواة في مداخلات الباحثين في الكتاب: زهية جويرو (أستاذة الحضارة في جامعة منوبة) تناولت الخلفية الدينية للجدل حول مشروع الحريات الفردية والمساواة. إذ رأت أنّ هناك تفاوتاً «في القيمة العلمية بين خطابات المتجادلين. ففي حين كانت خطابات المعارضين في الغالب بيانات انفعالية يغلب عليها التحقير تجاه التقرير وتجاه مواقف الخصوم؛ وهو تحقير يصل إلى حد التكفير أحياناً وكيل الاتهامات بنبذ الشرع وبالتعدي على حدود الله وعلى أحكامه.... مقابل ذلك جاءت آراء المنافحين مبنية على منهجيات ومعارف حديثة». ونتيجة هذا الاختلاف، ترى جويرو «إمكانيات فتح أبواب جديدة أمام مراجعة العديد من القضايا ومن بينها قضية التعامل مع الموروث الديني عامة والفقهي بصفة خاصة».

واهتم محمد أنور الزياني (باحث في القانون) بالحريات الجنسية في تقرير «لجنة الحريات الفردية والمساواة»، معتبراً أنّ من بين الحقوق التي يجب تكريسها ومواءمتها مع «التوجهات الحديثة لحقوق الإنسان» الحقوق الجنسية التي لا تزال في تونس منسيّة وغير مكرّسة قانوناً. أكثر من ذلك، لا يزال عديد الأشخاص «اليوم يُحاكمون على أساس ممارستهم لها».

وتساءل عبد الرزاق الدغري (باحث في الحضارة العربية في جامعة القيروان) في مساهمته عن تقرير الحريات: هل يمكن اعتباره ثورة أم فتنة؟ وتوقف عند الذين نظموا تجمّعاً احتجاجياً في 18 آب (أغسطس) 2018 أمام مجلس النواب بمبادرة من «التنسيقية الوطنية للدفاع عن القرآن والدستور والتنمية». وقال عن هؤلاء: «إن المشاركين ينتمون إلى القوى المحافظة والمتشدّدة ويمثلون انتماءات جندرية مختلفة، يعتقدون أن الناس يسيرون إلى حالة مثلى نزّلها الله ونصّ عليها القرآن (...) أمّا عن أنماط تفكيرهم؛ فيلوح بوضوح أنّهم جعلوا الأحكام الفقهية مقدّسة رغم أنّها في معظمها لا تتطابق مع مبدأ المواطنة وتضفي هالة من القداسة على اجتهادات بشرية وعلى بعض القوانين الوضعية».

تناول الكتاب قضايا أخرى مثل «قراءة في خطب الجمعة في الرد على تقرير «لجنة الحريات الفردية والمساواة»» (فؤاد عامري) وتقرير «لجنة الحرية والمساواة: تداولية السجال في خطاب النخبة والإعلام» (مهدي الحاجي)، و«أشكال تلقّي تقرير الحريات الفردية والمساواة: الدلالات والرهانات» (امبارك حامدي) و«مقاربة النخب التونسية لمسألة المساواة في الميراث من خلال كتاب ميراث النساء ووهم قطعية الدلالة» (فوزي غنيمي) و«ردود النخب الدينية والإعلامية حول مجلة الأحوال الشخصية وقانون المساواة في الميراث: دراسة مقارنة» (كوثر الحاجي)...

هذا الكتاب الجماعي يترجم حدة الجدل الذي تعيشه تونس منذ عشر سنوات والصراع بين الإسلاميين الذين يهيمنون على مفاصل الدولة، والمقاومة الثقافية والفكرية التي انخرطت فيها النخب والقوى الحداثية ضد مشروع الإخوان المسلمين الذين لم ينقطعوا عن التشكيك في كل مكاسب دولة الاستقلال، وخاصة حرية المرأة والتعليم والثقافة. وهم يعملون منذ صعودهم إلى السلطة في أواخر 2011 إلى تغيير النمط الاجتماعي للتونسيين واستهداف الحريات والتأسيس لنمط جديد موالٍ على المنوال الباكستاني والأفغاني، مستفيدين من التمويلات الضخمة التي تضخّها قطر وتركيا عبر شبكة كبيرة من الجمعيات الأهلية مثل «جمعية مرحمة» القطرية و«الإغاثة الإسلامية» و«الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين»...

صدور هذا الكتاب الجماعي يندرج ضمن المسار الذي انخرطت فيه النخب التونسية والحركة النسوية التي ناضلت من أجل المساواة في الميراث منذ السبعينيات. لكن مبادرة السبسي للأسف تمّ قتلها في المهد بسبب الإسلاميين والقوى المحافظة التي حقّقت انتصاراً كاسحاً في انتخابات 2019 في الوقت الذي انتكست فيه القوى الحداثية التي ساندت قائد السبسي في انتخابات 2014 وحزبه «نداء تونس»، ما ترتبت عنه انتكاسة كبيرة لمشروع التحديث.

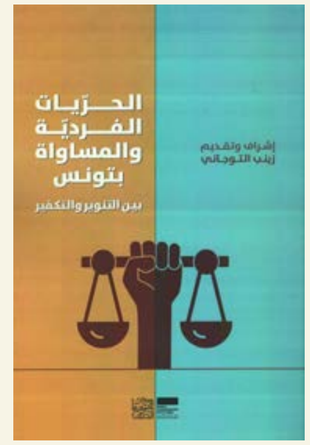

كتاب جماعي يرصد الجدل الذي أحدثته مبادرة قائد السبسي حول المساواة في الإرث

لمحات

امبرتو إيكو

تدور «الشعلة الخفية للملكة لوانا» (دار الكتاب الجديد – ترجمة معاوية عبد المجيد) لأمبرتو إيكو حول موضوع الذاكرة. في الرواية التي صدرت بالإيطالية سنة 2004، يضع الكاتب والناقد الإيطالي الراحل بطله يامبو في مواجهة مع ذاكرته. يستيقظ ذات يوم في المستشفى ليكتشف أنه قد فقد بعض ذكرياته، مقابل احتفاظه بأخرى. هكذا يتذكّر الكتب التي قرأها، والأشعار التي أحبّها فيما يغيب عن باله اسمه واسما زوجته وابنته. يرفق إيكو روايته ببعض الصور والرسومات التوضيحات البصرية التي تتقاطع مع ثيمة الذاكرة.

شادي لويس

«تاريخ موجز للخليقة وشرق القاهرة» (دار العين للنشر والتوزيع) هو عنوان الرواية الجديدة للكاتب المصري شادي لويس، التي ستصدر قريباً بالتزامن مع إصدار الدار نفسها للطبعة الثانية من روايته «على خط غرينيتش». وكان الكاتب والاختصاصي النفسي المقيم في لندن قد نشر فصلاً من روايته الجديدة في مجلّة «الفجل المصدّي». علماً أنّ هذه هي الرواية الثالثة للويس، بعد «طرق الرب» (2018)، و «على خط غرينيتش» (2019) التي نالت حفاوة نقديّة لدى إصدارها.

سركون بولص

يحوي «رقائم لروح الكون» (منشورات الجمل) ترجمات شعرية اختارها وقدّم لها الشاعر العراقي الراحل سركون بولص. وفيه اختار بولص، قصائد متنوّعة لشعراء من الصين واليابان والهند القديمة، وصولاً إلى التجارب الشعرية الأوروبية الحديثة. في المؤلّف الاستثنائي لكل قرّاء ومحبي الشعر، لم يعمد بولص إلى اختيارات تتقاطع مع اتجاهه الشعري أو ذائقته، بل حرص على تقديم مختارات متعدّدة الاتجاهات، من القرون السابع والثامن والتاسع والعشرين، نال فيها الشعراء الأميركيون والإنكليز النصيب الأوفر.

أوتا فريفرت

بتحليلها الشامل لبعض الأحداث التاريخية والمعاصرة، تعمل المؤرّخة الألمانية أوتا فريفرت، على تظهير دور الإذلال في بناء المجتمع الحديث. في كتابها «سياسة الإذلال... مجالات القوة والعجز» الذي سيصدر قريباً عن «دار ممدوح عدوان» (ترجمة: هبة شريف)، تركّز فريفرت على استخدام الإذلال والشعور بالعار كوسيلة للسيطرة، في السياسة وفي النظام التعليمي المدرسي... هكذا تتبع كيفية تطوّر هذه الوسيلة تاريخياً، الماضي، لكي تناسب تغيرات القرن الحادي والعشرين، حيث لم تعد تقتصر على القوى السياسية فحسب.

حنان الحاج علي وناديا فون ماتسان

ضمن مبادرة من مجموعة العمل على السياسة الثقافية في لبنان، أعدّت الباحثتان حنان الحاج علي وناديا فون ماتسان كتاب «نظرة حول السياسات الثقافية في لبنان». في المؤلّف، ثلاثة أبحاث تطرح تحديثات على مستوى البحث في التشريعات الثقافية وكيفية فهم آلية عمل الثقافة وموازنتها في لبنان، خصوصاً لناحية التراث المهدّد بعد انفجار المرفأ. علماً أن المؤلّف الذي صدر بالإنكليزية والعربية، متوافر للتحميل على الموقع الإلكتروني لـ «المورد الثقافي»، و«المعهد الألماني للأبحاث الشرقية».

صمويل بيكيت

سنة 1938، كتب المسرحي الإيرلندي صمويل بيكيت روايته الأولى المنشورة «مورفي» بعد باكورة روائية لم تُنشر إلا بعد عقود. وقد صدرت الرواية حينها باللغة الإنكليزية، بخلاف معظم مؤلفاته التي كتبها بالفرنسية لاحقاً. الرواية التي ستصدر قريباً عن «دار المدى» (ترجمة حسين عجّة) تحمل المناخات العبثية نفسها لدى بيكيت، خصوصاً بجمعها الفكاهة مع الوقائع المأساوية في تتبّعها للبطل مورفي وحياته في لندن، في سعيه إلى تأمين منزل، وجمع ثروة كافية من أجل أن يستطيع الانتقال للعيش مع حبيبته.

اقتصاد

يانيس فاروفاكيس: الاقتصاد في متناول العامّة

مهدي عساف

الفكر وليد الاحتكاك بما هو يومي، يأخذ من هذا الاحتكاك حدوده، فالزامنيّة غالباً تثوّر فروعاً للفكر كانت لتكون خافتة لولا أحداث تستفحل آثارها ضمن القالب اليومي الذي نعيشه ونعتني بانعطافاته. ولذلك ينتعش مرحليّاً إعمال الفكر في ميدان من المعرفة، وتطغى عليه صفة الإلحاح، ويغلب الميادين الأخرى ويقوّض حيّز تدفّقها في الوعي العام. هكذا كانت للاقتصاد حصّة الأسد في مداولاتنا المعرفية اليومية، لأجل ما تمرّ به البلاد من أزمات، يصعب على العامّة المساهمة في تقديم فهم لخلفيّاتها وأسبابها ومآلاتها في إطار القوانين التي تحكم ميدان علم الاقتصاد. وبالتّالي اكتفى الجمهور بما يتناهى إلى أسماعه من تحليلات للأزمة، واعتمد على «ثقافة الأذن» على حدّ تعبير رولان بارت.

وعلى الرغم من تدخّل الاقتصاد في تكوين مساراتهم ورسم مديات طموحاتهم، لعب الناس دور المتفاعل مع الواقع الاقتصادي أو المتفرّج، لا الفاعل والمؤثّر، في حين كان لزاماً عليهم المشاركة في نقد الممارسات الاقتصادية. إلا أنّ تفرّد الاقتصاديين برسم مسارات الدولة الاقتصاديّة أو نقدها، حال دون تحقّق الانخراط الجماهيري في هذا الميدان. من هنا كان فهم الاقتصاد وممارساته وتجلّياته ضرورة تحتّم على كلّ فرد الإلمام بهذا العلم. وهذا ما دفع يانيس فاروفاكيس ــ وزير المالية الذي انتخبه اليونانيون بعد الانهيار الاقتصادي، لإدارة الأزمة في مواجهة أوليغارشية عالمية ـ إلى كتابة مؤلّفه «الاقتصاد كما أشرحه لابنتي» (2017) الذي تُرجم أخيراً إلى العربية (دار الساقي)، من أجل «التحدّث إلى الشبيبة عن الاقتصاد»، موجّهاً خطابه إلى ابنته، من أجل الإجابة على تساؤلاتها المتعلّقة بالمسائل الاقتصادية، وتسهيل مهمّة الإحاطة بالمفاهيم الاقتصاديّة وتبسيطها، كونها ضرورة محتّمة على كلّ أفراد المجتمع، وبمن فيهم ابنته.

جاء الكتاب تمظهراً لقناعة فاروفاكيس بأنّ «الاقتصاد أكثر أهميّة من أن يُترك للاقتصاديّين» وأنّ الكتب التي تبسّط العلم شديدة الأهميّة «في عالم يشنّ فيه رئيس الولايات المتّحدة حرباً مفتوحة عليه، ويتجنّب فيه أولادنا المقرّرات العلميّ» كما يصرّح في مستهلّ كتابه. يزخر كتاب فاروفاكيس بالتمثيل من دون أن يصبح القارئ حبيس الأمثلة، ويعجّ بالقصص المستلهمة من المسرحيات والروايات التي خُطّت بالتوازي مع تشكّل مجتمعات السوق، لما تحويه من دلالات تتعلّق بقراءة الكُتّاب للتحوّل العالميّ الذي اختبروه وتخوّفاتهم من عواقب هذه الانعطافة.

هذا إلى جانب قدرة فاروفاكيس «البروكورستيّة» (أسطورة بروكورست تحكي قصّة إنسان كان يعمد إلى تقصير البشر عبر تقطيع أطرافهم أو تمديدها من أجل التناسب مع حجم سريره) في توظيف موسوعيّة إلمامه بالميثولوجيا اليونانيّة، في خدمة تبسيط المطالب الاقتصادية العويصة، وتصوير اقتصاداتنا تصويراً تراجيديّاً بوصفها قوى سلبيّة تفتّت المجتمعات، وتعمد إلى تفكيك الروابط التي تكوّنها.

لعلّ الكلمة المفتاح التي ترد كثيراً في مثل هذا النوع من الكتب، هي كلمة «الاقتصاد». ولهذا كان فاروفاكيس حريصاً كلّ الحرص على إزاحة الغباش عما هو عليه بالفعل هذا العلم، ونقد صورته كما يظهر ويراه الجميع، لأن اقتصاداتنا، وبفعل تستّرها وراء آليّات إيديولوجيّة خرافيّة معقّدة لإخفاء خداعها، فقدت كلّ شيء إلّا اسمها، وقدّمت للجمهور على أنّها ليست هي. لذلك أجبرت خدعة الاستيلاب، التي أخفت حقيقة المسائل الاقتصادية، «فاروفاكيس» على الحفر في تاريخ هذه المسائل وكيفيّات نشوئها ونشوء طرائق طمس جوهرها، التي ولدت بالتزامن معها، لإعادتها إلى مساراتها الصحيحة، وتبيان الشقوق التي تشوب هذا النّسق، ما جعل الكتاب مزيجاً من التّاريخ، والتحليل السجالاتي لهذا المسار التاريخي الذي أنتج عالماً لا يجيد خلق المتعة والسعادة، أي مجتمع السوق.

بدأ هذا «العالم الكئيب» بالظهور من وجهة نظر فاروفاكيس، عندما اختبرت بريطانيا أقسى التحوّلات وأكثرها بشاعة في التاريخ، في حين ازدهرت تجارة الصّوف والحرير وغيرهما من السلع عالميّاً، وقرّر ملّاك الأراضي طرد الأقنان واستبدالهم بقطعان الخراف التي يمكن استثمار صوفها في الأسواق العالميّة. أمر دفع الأقنان المشّردين لتسوّل قوتهم مقابل خدمات يمكنهم تقديمها، فتكوّنت بذلك أسواق بيع قوّة العمل، وتكوّنت أسواق الأراضي بعدما جنح ملّاك الأراضي إلى تأجير أراضيهم بدلاً من الإشراف المرهق على عمليّة الإنتاج. هكذا كان الانتقال، من مجتمع بأسواق إلى مجتمع سوق يتمّ فيه تسليع كلّ شيء، تقوده رغبة الربح التي ولّدها الجشع بما هو جزء من الطبيعة البشرية، وانتصار القيمة التبادليّة على القيمة الاستعمالية، مرسياً بذلك أنماط إنتاج جديدة. ساقت أنماط الإنتاج المستحدثة الحرفيين والعمّال الزّاغبين في استئجار الأراضي، لخوض غمار السوق وتقلّباتها إلى الاستدانة من أصحاب الثروات الذين وجدوا فرصة لمراكمة الأرباح عبر الفوائد، بدون عناء يُذكر، فكان الدَّين بذلك الرّوح الّتي تحرّك الاقتصاد، «فلا ربح من دون دين، ومن دون ربح لا يوجد فائض» بتعبير فاروفاكيس. وهنا اكتسبت المصارف جوهريّة اقتصاديّة لم تحظ بها قبل هذه الانعطافة.

يصوّر فاروفاكيس المصرفي كمسافر عبر الزمن، يجلب المال من مرحلة زمنيّة متقدّمة، متأمّلاً من السيرورة الاقتصاديّة الانتحاء بالمشاريع الربحيّة نحو النجاح، من أجل سداد القيمة المقترضة وتحقيق الربح، وهذا ما يجعل من ضرورة توافر الأموال المقدّمة كقروض مسألة هامشيّة وعرضية، حيث يمكن خلق المال من العدم واكتسابه بعد مدّة زمنيّة معيّنة. وهنا تكمن قدرة المصرفيين على ممارسة «السّحر الأسود» أي قدرتهم على إيجاد المال من لا شيء. إلّا أنّ هذه «العمليّة الّتي تولّد الربح والثروة، هي ذاتها التي تولّد الانهيارات المالية والأزمات» بتعبير فاروفاكيس نفسه. فسرعان ما يؤدّي انفلاش أعداد القروض المجلوبة من المستقبل، الناتج عن حالة الازدهار، إلى عدم القدرة على تحقيق الأرباح الكافية لتسديدها، «وعند هذه النّقطة، يبزغ إدراك أنّ المستقبل الذي يتّكل عليه الجميع، لن يأتي إلى الوجود. وعندما تعجز تلك المقادير الكبيرة من القيمة المقترضة من المستقبل عن التحقّق، ينهار الاقتصاد» كما يقول فاروفاكيس.

لا يسمح المقام بالتوقّف الطويل عند المفاتيح التي يقدّمها فاروفاكيس في كتابه، إلّا أنّ أهميّتها تكمن في إتاحة الفرصة للجماهير لممارسة الاقتصاد في يوميّاتها، بعيداً عن اختزال إناطة هذه الممارسة بالاقتصاديين. هكذا نصيح في حالة من التماهي بين الممارسة اليومية العادية وممارسة الاقتصاد، تتجاوز البتر الحاصل بين النظرية والواقع. ولعلّ هذا ما دفع سلافوي جيجك، الفيلسوف المتشائم، الذي يجد في ضوء الأمل المنبعث من نهاية النّفق قطاراً يتّجه نحوك ليدهسك، إلى التأمّل بحثّ النّاس لفاروفاكيس، فيقول، كما ستجد على الغلاف الخلفيّ للكتاب: «واحد من أبطالي القلائل، ما دام النّاس يحبّون فاروفاكيس، سيبقى هناك أمل».

تسهيل المفاهيم الاقتصاديّة وتبسيطها كونها ضرورة محتّمة على كلّ أفراد المجتمع

شعر

أسماء عزايزة: من الحرب وإليها...

طالب شحادة

ما كتبته الشاعرة الفلسطينية أسماء عزايزة في ديوانها «لا تصدّقوني إن حدّثتكم عن الحرب» (منشورات المتوسط)، يُختزل بالتسمية التي أدرجتها الدار على الكتاب. تسمية ضمن ما يُعرف بالسهل الممتنع، كاختصار وافٍ لمكانة الأدب وقدرته، وهو شعار «الأدب أقوى» (طبعة خاصة بفلسطين). إنّه لأمرٌ بديهي أن يطغى موضوع الحرب، كفاجعة ملحمية، على شاعرة فلسطينيةٍ يلتصق داخلها مع العالم الخارجي تماماً، ليتحوّل ما تكتبه إلى نص شعري فيه من الاعتراف جديّة درامية تضاهي وحشية ما رآه شاهد عيان.

بعيداً عن البلاغة الجمالية التي تأخذ النص إلى حيّز مُتَخَيَّل لتفريغ عظمة مأساة الواقع، وبلعبة ذكية أجادت إتقانها، استطاعت الشاعرة عبر نفي ذاتي انطلق منه العنوان «لا تصدّقوني» أن تنسف الرؤية الشعرية التي تقوم على التجميل والتزييف، ومن ثم التبرؤ منه، لتُحِلّ رؤيتها الخاصة التي تنبثق من واقعيّة التعبير. تُطرح في الكتاب مواضيع اطّرتها الذات في علاقتها مع الحرب كارتكاس لها، وعلى هذا الأساس نجدُ اليوميّ في جوار العالمي، والبحثَ المحموم عن البدايات الخالية من الذنب والتردد، المُفعمة بالأسى. تطرح الكاتبة ذاتيتها في النصوص من خلال أسئلة تتعلق بالتاريخ؛ ماضياً وحاضراً ومستقبلاً. طُرِحَت هذه المواضيع، بشكل واقعيّ، فجّ وصادم، في قالب نثريّ متكتّل حيناً ومشهديّ حيناً آخر، بأسلوب حادّ، يكرس سيرة صاحبته: «أنا طفلة الأنابيب التي هجّنت في مختبر طبّي/ شممت رائحة خيول ميتة في منيّ أبي»/ «المشهد الأوّل..المشهد الأول مرة أخرى».

لا شيء يتجزّأ عند أسماء عزايزة. جميع التفاصيل مترابطة كأنها حلقة متراصّة ضمن نظام واحد متجانس، لا يمكن للواحدة أن تنفك عن الأخرى. لذلك، نجد في الأسلوب تجسيداً حقيقياً لمضمون عزايزة الشعري، من دون أن يلعب دوراً وظيفياً أو غاية منغلقة على ذاتها، بل هو الشكل الذي يبتغيه المضمون ليكتمل معناه. هذا التماهي ينطلق هنا ولا يتوقّف عنده، يتعداه ليغطّي طيف الحرب وذاتيّة الشاعرة فيها. إننا نتحدث عن التداخل كتقنية أجادت أسماء تسويغها في إطارها الشعري. وهذا التداخل، الذي يشبه الدائرة التي يفضي بعضها إلى بعض في حركيّتها، هي في أحد أبرز أوجهها حركيّة الموت المفروض من الخارج: «صرتُ صماء بعد أن عزفت طبول الحرب على طبلة أذني»، والصراع ضد هذا الموت بعد تعريته من الشعارات المقولبة حيث تعلن عزايزة «لا أريد أن أنتصر، لا أريد أن أموت فحسب». وفي الرفض للموت الكامن الذي يلاحق الفرد محاصراً إيّاه في أدق تفاصيل حياته، يبرز التداخل مجدداً، هذه المرّة بين الذات والحدث؛ بين الشاعرة والحرب، متكئةً على الاستعارة بقولها «كأن يواعد الشخص موته». في هذا التيقظ أمام فاجعة وجودية مهولة كهذه، تختار الشاعرة تحدّي الموت التعسفي ولو جاء ذلك رمزيّاً. عبر إحدى القصائد المهداة إلى المثقف المشتبك باسل الأعرج الذي اختار لموته مساراً، تهتدي الشاعرة بالمسار نفسه كنموذج مشتبك، فنقرأها تقول «أطرافي باردة وبليدة ولا تعرف الطريق إلى المقبض أحدق في تصوري عنها/ لا أهتدي إليها إلى ذلك الشعور الذي يصيبكم حين تأكلكم الحرب مثل خنزير بري/ ولا إلى الفزع المتوقع في حين أشعر بحمضه النووي في جسدي». لا يمكن إغفال الطابع الثقافي والمعرفي الذي وظفته الشاعرة في ما هو أكثر من إحالات، خدمةً للنص؛ بل من خلال الإبداع أو التأويل ومن ثم الخلق من جديد كمهمة تكمل القصيدة وتشكل عنصراً مهماً في بنيتها الجزئية. على غرار الشاعر الفلسطيني الأبرز محمود درويش الذي حمل صوت الجماعة وتكلم بلغة الأرض، نرى في قصيدة عزايزة «فرص للنجاة» أصداء درويش في قصيدته «لم يسألوا ماذا وراء الموت». ففي عبارته «حياتنا عبء على ليل المؤرّخ»، يطالعنا تعبير عزايزة «التاريخ الذي أصبح تاجراً أنيقاً وأميناً لمعارض جلودنا، جلودنا عملة صعبة...». لا يتوقف الأمر هنا، فالقصيدة التي تحمل عنوان «سايكو»، في إحالة إلى فيلم هيتشكوك الشهير، لم تكتف بالعنوان فحسب، بل حوّلته إلى ثيمة تطبع الحياة، وفي هذا تداخلٌ جديد برعت الشاعرة في تجسيده مرة أخرى: «أكتب قصائد عن الإنسانية وبشاعة الحروب/ عن العزلة ومنظورها الوجودي».

وللتأكيد على الأمر، يطالعنا التضاد هذه المرة، مع عبارة الأديب الفلسطيني سلمان ناطور: «ستأكلنا الضباع، إن يقينا بلا ذاكرة» المُشار إليها في هامش الصفحة، ويتبدّى في النص التداخل عبر نداء مباشر تمثل في أفعال الأمر وفق نبرة تصاعدية واضحة: «اقتربوا.. ادخلوا.. التصقوا.. توحدوا»، تُسقط أسماء عن كاهلها حمل الذنب الموروث، انتصاراً ليقظة الحاضر واختلاف الرؤية وظروف الصراع، فالماضي «هذا القط الفارسي/ هذا الماضي الذي يثب من يدي، ويرمقني بهدوء في الزاوية/ كيف يكون الحنين إلى هذا الجلاد الحقير؟». ضد هذه النوستالجيا لما يبدو جلّاداً حقيراً بالنسبة إلى الشاعرة، كان لا بد أن تعلن في نهاية القصيدة، حاسمةً المشهد: «سوف تأكلني الضباع». وسط هذا الجوّ الوصفي الساخط، حيث تدفع الشاعرة لغتها الشعرية إلى أبعد حدّ، كان لا بد لها من الإحالة إلى الأسطورة وربطها بالحيّز الواقعي التراجيدي الذي يسكنها. ففي قصيدتها الأخيرة «إستعارة» تكتب: «وأفرغتُ فيها أدمغة من سبقوني/ فيتعاظم الكذب...» وفي هذه الجملة تؤكد على ما كتبته في نص سابق حيث تأكل أبناءها على حد تعبيرها، وفي هذا إسقاط لأسطورة «لمياء» بنسختها الإغريقية حيث أكلت أبناءها بعدما مات أبناؤها السابقون غير الشرعيين قتلاً، لتمتثل أسماء عزايزة بهذا الفعل، وتتعامل مع قصائد المجموعة، بالطريقة عينها، بالنفي أو بالأحرى من خلال التبرّؤ منها. إذاً بات لدينا فهمٌ للالتباس عند شاعرة تكلمت عن الحرب، والحرب تكلمت بلغتها. فلنصدق حديث الشاعرة التي انتقدت مبالغة الشعراء «هل يحزن الشعراء لضرورة شعريّة؟ إذن، لماذا تبدو نصوصهم أشدّ حزناً منهم»، لأنها ممزوجة بين الحرب وارتداداتها، هي التي حوّلتها الحرب إلى «سايكو» غارقة في الحزن: «لأنني..السبب على طرف لساني/ لا/ الحزن هو الذي يقف على طرف لساني».

تُسقط عن كاهلها حمل الذنب الموروث، انتصاراً ليقظة الحاضر واختلاف الرؤية وظروف الصراع

أوراق

تقليد الاسترضاع في مكّة قبل الإسلام

زكريا محمد *

نعرف أن حليمة السعدية كانت مرضعة النبي محمد. وتخبرنا المصادر العربية أن أشراف مكة في الجاهلية دأبوا على البحث عن مرضعات لأولادهم في البوادي حول مكة. بذا، فقد كان تقليد المرضعات تقليداً اجتماعياً تمارسه نخبة مكة. فهل كان تقليد الرضاعة والمرضعات حقاً عادة اجتماعية مكية، أم أنه كان مسألة دينية يمارسها جزء محدّد من أهل مكة؟

جوابي على هذا السؤال أن الأمر يتعلق بمسألة دينية لا بعادة اجتماعية. وورود في القرآن يشير إلى أنه كان مسألة دينية في الأساس: «وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم» (البقرة 233). ليس ذلك فقط، بل يبدو أن الاسترضاع كان مسألة دينية كانت تمارسها طائفة واحدة من بين طوائف مكة الثلاث: (الحمس، الطلس والحلة) هي طائفة الحلة. وطائفة الحلة هي الطائفة التي كان ينتمي إليها بنو هاشم بن عبد مناف، عشيرة النبي محمد، على عكس ما تقول الغالبية الساحقة من المصادر القديمة التي تعتقد أن الرسول من طائفة الحمس، وأن مكة كلها من هذه الطائفة. وقد برهنت على أن بني هاشم، والرسول من بينهم، كانوا يتبعون طائفة الحلة في كتابي: «ديانة مكة في الجاهلية: كتاب الحمس والطلس والحلة».

وقد ورد الخبر الذي يوحي إلى أن الرضاعة شأن ديني عند اليعقوبي. فهو يقول لنا إنّ الحمس: «لم يحولوا بين مرضعة ورضاعها، حتى يعافه» (تاريخ اليعقوبي). ويمكن الاستنتاج من هذا الخبر أن طائفة الحمس لم تكن تسترضع لأولادها، ولم تكن ترسلهم إلى المرضعات في البوادي. وبما أن عادات وطقوس الحلة تقع على الطرف النقيض تماماً من تلك التي لطائفة الحمس، فإنه يمكن الاستنتاج أن الاسترضاع كان يخص طائفة الحلة. أما طائفة الطلس، فلا نعرف إن كانت تتبع التقليد الحمسي أو الحلي بشأن الرضاعة. فهي طائفة وسطى تأخذ جزءاً من تقاليد الحمس وجزءاً من تقاليد الحلة.

وبما أن عائلة الرسول قد استرضعت له، وأرسلته إلى حليمة السعدية، فإن هذا يدعم أن الرسول من طائفة الحلة لا من طائفة الحمس، وأنه أُرسل إلى البادية انطلاقاً من تقليد هذا الطائفة.

موسى والرضاعة

وتقليد الاسترضاع قديم جداً. فقد ورد في قصة موسى في القرآن. وما جاء في القرآن عن طفولة موسى يوحي إلى أن تقليد طائفة الحلة قريب من الشِّرعة الموسوية، التي يبدو أنها هي الأخرى كانت تقطع الرضيع عن حليب أمه وترسله إلى مرضعة غيرها. وقصة رضاعة موسى تبدو معقّدة قليلاً. فبعدما خافت أمّه عليه من أن يقتله فرعون، جعلته في سلة وأرسلته في الماء. فعثرت عليه عائلة فرعون وتبنّته. وكان عليها أن تسترضع له امرأة ما. وقصة وضعه في السلة وتركه في النهر جاءت لكي تبرر رضاعته حليب امرأة أخرى غير أمه. فبما أن على أمه أن تتوقف عن إرضاعه عند لحظة معينة، فيجب البحث له عن مرضعة «تتبنّاه» وترضعه. وقد وُضع في السلة مبدئياً كي تُحلّ قصة المرضعة هذه. لكن الذي حصل أن موسى الطفل (وكلمة مس بالمصرية القديمة تعني: الطفل) رفض المرضعات كلهن. فكان على فرعون وعائلته أن يبحثوا له عن مرضعة ترضعه. لكنه رفض المرضعات كلهن. وهنا تقدّمت أخته لحل المشكلة من دون أن تعترف أنها أخته: «وحرّمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلّكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون» (القصص: 12). فسألوها: «قالوا لها: من يكفله؟ قالت: أمي. قالوا: ألأمّك لبن؟ قالت: لبن هارون. وكان هارون ولد في سنة لا يُقتل فيها صبي، فقالوا: صدقت» (تفسير القرطبي). وفي تفسير آخر: «فقالت لهم أخته: هل أدلّكم على أهل بيت يكفلونه لكم؟ فقالوا لها: نعم، مَن تلك؟ فقالت: أمي. قالوا: وهل لها لبن؟ قالت: لبن هارون. فلما جاءت قبل ثديها» (تفسير حقي). وهكذا أعيد موسى إلى أمه لترضعه، فأرضعته من جديد: «فرددناه إلى أمّه كي تقرّ عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حقّ ولكن أكثرهم لا يعلمون» (القصص 13).

ويتّضح من كل هذا، أن موسى قد أعيد ليرضع من ثدي أمه عبر حيلة محددة: فقد رفض جميع مرضعات فرعون فأعيد بحيلة محددة إلى أمه ليرضع حليبها من جديد. وهذا يعني أنه جرى الالتزام بالشرط الديني الذي يقضي بإبعاد الطفل عن ثدي أمه وتسليمه لمرضعة غيرها لترضعه من جديد. فأمه لم تتقدم كأمه، بل تقدمت باعتبارها مرضعة أخرى بالأجرة. وهكذا فهو لم يرضع من ثدي أمه نظرياً، بل رضع من ثدي أخرى غريبة عنه. أي أن أمّه وُضعت في موضع مرضعة غريبة كي تتمكن من إرضاعه. لم يكن بإمكانها أن ترضعه كأمّه، لذا كان عليها أن تتبدّى كمرضعة لتفعل ذلك. بذا، فالبناء المعقّد لهذه القصة الدينية، قائم على فكرة المرضعة أولاً وأخيراً. وعبر هذا البناء احتيل على القانون الديني الذي يمنع الأم من إرضاع ابنها في لحظة ما. وهكذا، جرى الالتزام بحرفية القانون حيث أرضعت الطفل موسى مرضعة مأجورة، مع أنّه خرق عملياً من ناحية أخرى. أي أن التي أرضعته أمّه وليست أمّه في الوقت نفسه. إنها أمّه الحقيقية لكنها تبدّت كمرضعة بالأجرة استأجرها فرعون لإرضاعه.

فهم القصة على هذا الشكل يوضح لنا مسألة أن الاسترضاع ديني قديم في الأساس. كما أنه يوضح لنا قرب الشّرعة الموسوية من شِرعة الحلة في مكة. وهو يفسر لنا لماذا كان موسى في شخصية مركزية في القرآن، ولماذا كان النبي محمد يسميه «أخي موسى» . فالرسول مرتبط بشِرعة مشابهة للشِّرعة الموسوية منذ الجاهلية.

ويمكن لي أن أقول، بشكل عام، إن طائفة الحلة كانت أقرب للشِّرعة الموسوية، أي أقرب لديانة بني إسرائيل القدماء، وليس لليهود واليهودية. فهناك فرق جوهري بين اليهودية وشِرعة بني إسرائيل. فهما في الصلب شِرعتان مختلفتان. طائفة الحمس هي التي كانت قريبة من اليهودية في معتقداتها. وهذا يفسر كثيراً من الأشياء والتحالفات التي حدثت في بداية الإسلام.

> الاسترضاع كان مسألة دينية تمارسها طائفة واحدة من بين طوائف مكّة الثلاث

لبن هارون

شيء آخر، حين سئلت أخت موسى: ألأمّك لبن؟ أجابت: لبن هارون.

وكما نرى فنحن أمام جملة غامضة هنا: «لبن هارون»! وقد فهمتها المصادر العربية على أنها تعني اللبن نفسه الذي شرب منه هارون أخو موسى. ولو كان ذلك كذلك، لما كانت أخته في حاجة إلى أن تقول ذلك. إذ كان يكفي أن تقول: نعم عندها لبن. لكنها ألقت هذه الجملة الغامضة: «لبن هارون». والحال، أن من الممكن لجملة «لبن هارون» أن تعني: لبن الشاة، لا لبن أم موسى. فكلمة هارون تعني في اللغة المهرية: أغنام. والمهرية لغة سامية ما زالت حية حتى الآن في جنوب الجزيرة العربية، وتتكلّمها قبائل في عمان واليمن وجنوبيّ السعودية. وهذا ما قد يفيد بأن قصة الاسترضاع لها علاقة بالأغنام في الأصل. فأمّه كمرضعة تتبدّى كما لو أنها نعجة وليست أمّه.

ولدينا دعم لهذه الفرضية على ما ورد في قصة أبي رغال في المصادر العربية. فهناك نجد أن الشاة تتحول إلى أمّ للطفل. فقد كان أبو رغال عاملاً على العشور عند النبي صالح، فأرسله مرة في مَهمة: «فانتهى إلى رجل معه مائة شاة شصص، ومعه شاة والد، ومعه صبي ماتت أمّه بالأمس. فقال: إن رسول الله أرسلني إليك. فقال: مرحباً برسول الله وأهلاً، خذ. قال: فأخذ الشاة اللبون، فقال: إنما هي أمّ هذا الغلام بعد أمّه، خذ مكانها عشراً. قال: لا. قال: عشرين. قال: لا. قال: خمسين. قال: لا. قال: خذها كلها إلا هذه الشاة. قال: لا. قال: إن كنت تحب اللبن فأنا أحبه. فنثر كنانته ثم قال: اللهم تشهد! ثم فوق له بسهم فقتله» (الواقدي، المغازي). أما عند أبي الفرج، فقد مرّ أبو رغال: «برجل معه غنمٌ ومعه ابن له صغير ماتت أمّه فهو يرضع من شاةٍ ليست في الغنم لبونٌ غيرها، فأخذ الشاة؛ فناشده الله، وأعطاه عشراً فأبى، فأعطاه جميع الغنم فأبى. فلما رأى ذلك تنحّى، ثم نثل كنانته فرماه ففلق قلبه» (أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني).

وهكذا، فقد ماتت أمّ الطفل، أي غابت ولم تعد قادرة على إرضاعه، فصارت الشاة أمّه: «إنما هي أمّ هذا الغلام بعد أمّه» . أكثر من ذلك وأهم، فإن جذر «رغل» العربي يعطي معنى رضاعة الجدي لأمه: «رَغَل الجدي وأَرغلها رضعها؛ قال الشاعر: يسبق فيها الحمل العَجِيًّا/ رَغْلاً، إذا ما آنس العَشِيًّا. يقول: إنه يبادر بالعشِّ إلى الشاة يرغلها دون ولدها، يصفه باللؤم» (لسان العرب). عليه، فقد أراد أبو رغال، بلؤم كامل، أن يرغل حليب الغنمة- الأم بديلاً عن الطفل، فقُتل.

* شاعر فلسطيني